



EIJAZ-AL-QURAN-FIL-QARN-AL-ISHRIN DIRASATUN - NAQDIA

DISSERTATION

**Submitted in Partial Fulfilment of the Requirements
for the Award of the Degree of**

**Master of Philosophy
IN
ARABIC**

BY

ABDUL HAMID FAZILI

**Under the Supervision of
Prof. Mohd. Rashid (Nadwi)**

**DEPARTMENT OF ARABIC
ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY
ALIGARH (INDIA)**

1991



اعجاز القرآن في القرن العشرين

(دراسة نقدية)

رسالة مقدمة لنيل شهادة (ام قل

في اللغة العربية وآدابها

تقديم

عبد الحميد الفاضلي

تحت إشراف


البروفيسور الدكتور محمد رشيد الزندقي

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة علي كره الاسلاميه علي كره (الهند)

سنة ١٩٩١م

DS. 2070


CHECKED-2002

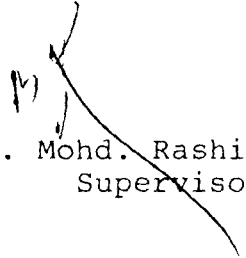


DS2070

CERTIFICATE

This is to certify that Mr. ABDUL HAMID FAZILI (U-5894) has submitted his M.Phil. dissertation entitled "Eijaz-Al-Quran-Fil-Qaran-Al-Ishrin Dirasatun-Naqdia" under my supervision for the award of the Degree of Master of Philosophy in Arabic. I also certify that the work of his M.Phil. Dissertation is original.

It is now forwarded for the award of M.Phil.
Degree in Arabic.


Prof. Mohd. Rashid
Supervisor

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الرسالة

مقدمه

الباب الاول

القران الكريم

- ١ - اهمية القران الكريم : ١ - ٥
- ٢ - نزول القران الكريم : ٥ - ٧
- ٣ - طريقة نزول القران : ٧ - ١٠
- ٤ - جمع القران الكريم : ١٠ - ١٢
- ٥ - جمع القران في عهد ابي بكر رض : ١٢ - ١٥
- ٦ - جمع القران في عهد عثمان رض : ١٥ - ١٧

الباب الثانى

اعجاز القران الكريم

- ١ - القران معجزة محمد الخالده : ١٨ - ٢١
- ٢ - معنى اعجاز القران : ٢١ - ٢٣
- ٣ - حقيقة الاعجاز : ٢٤ - ٢٧
- ٤ - وجوه اعجاز القران : ٢٨
- ٥ - الاسلوب العجيب : ٢٨
- ٦ - العلوم والمعارف : ٢٩

- ٨ - الاخبار عن المغيبات : ٣٣ - ٣٧
- ٩ - تأثيره في أعدائـــه : ٣٧ - ٣٩
- ١٠ - عدم التعارض مع العلوم الكونية : ٣٩ - ٤٠
- ١١ - الوفاء بالوعد : ٤٠
- ١٢ - سلامة القرآن من التناقض : ٤١

انواع الاعجاز فى القرآن

- ١ - الاعجاز اللفوى : ٤١ - ٤٣
- ٢ - الاعجاز العلمى : ٤٤ - ٤٦
- ٣ - الاعجاز التشريعى : ٤٧ - ٥١

الباب الثالث

اراء العلماء فى الاعجاز ومناheim

- ١ - اراء العلماء من القدماء فى الاعجاز : ٥٣
- ٢ - ابو حيان التوحيدى : ٥٣
- ٣ - ابو الفرج اصفهانى : ٥٣
- ٤ - ابو سلمان احمد بن ابراهيم الخطابى : ٥٥
- ٥ - قاضى ابو بكر الباقلانى : ٥٦ - ٥٨
- ٦ - قاضى عياض الاندلسى : ٥٨ - ٦٠
- ٧ - ابن عطيه : ٦٠
- ٨ - ابو يعقوب السكاكى : ٦٠
- ٩ - عبد القاهر الجرجانى : ٦٠ - ٦١
- ١٠ - ابن سراقه : ٦١ - ٦٢

- ١١ - كمال الدين الزملىكانى : ٦٢
- ١٢ - ابو الحسن الحازم القرطبى : ٦٢
- ١٣ - محمد بن عبدالله الزركشى : ٦٢ - ٦٣
- ١٤ - المراكشى : ٦٣ - ٦٤
- ١٥ - جلال الدين السيوطى : ٦٤ - ٦٥
- ١٦ - الجاحظ : ٦٥ - ٦٦
- ١٧ - اراء المعتزله حول اعجاز القرآن : ٦٦
- ١٨ - منهب اهل الصرفه والرد عليه : ٦٦ - ٦٨

الباب الرابع

اعجاز القرآن فى القرن العشرين (دراسة نقديه)

- ١ - محاولة اعجاز القرآن فى القرن العشرين : ٦٩
- ٢ - اراء العلماء فى القرن العشرين : ٧١
- ٣ - مصطفى صادق الرافعى : ٧١ - ٧٢
- ٤ - عبد العظيم الزرقانى : ٧٢ - ٧٥
- ٥ - محمد ابو زهره : ٧٥ - ٧٧
- ٦ - محمد على الصابونى : ٧٦ - ٧٧
- ٧ - عبد الرزاق السنوفلى : ٧٧ - ٧٨
- ٨ - مناع خليل قطان : ٧٨ - ٧٩
- ٩ - الدكتور صبحى الصالح : ٧٩ - ٨٠
- ١٠ - سيد قطب : ٨٠ - ٨١

مقدمة

- الف -

ارسل الله الانبياء والرسل فى كل امة و قوم ليكونوا هداة الى الحق و دعاة الى الرشده ، فكان عملهم عملا ثاقا عنيفا ، لذلك خلقهم الله ذا اعصاب قوية ، وهم عالية وقلوب رحيمة مثقفة و نفوس اربية نقية ، فكانوا يتحملون كل مشقة وكل مصيبة بصبر وجلد ، بل يجدون فى المشقة والمصيبة سرورا ولذة ليكونوا اسوة ونموذجا لامتهم وقومهم ، فكانوا يدعون الناس بسبل مختلفة واساليب متنوعة ، فكانوا يخاطبونهم حسب مستواهم الفكرى والعقلى ، والانبياء فى كل امة كانوا متميزين من الاخرين فى كل شىء ، فى اللسان والبيان والامانة والصدق والقوة والجلد ، وكان الله سبحانه وتعالى يساعدهم ويساندهم بمعجزات خارقة وبيانات واضحة ، وكانت هذه المعجزات تصدر حسب الظروف والاحوال ، انا كانت الامة ذات قوة ، فكانت معجزة انبيائهم القوة والجلد وانا كانت الامة من هواة المعجزات وخوارق العادات كالسحر فكانت معجزة انبيائهم سحرا كما كانت معجزة موسى عليه السلام ، وانا كانت الامة من هواة العلم فكانت معجزة نبيهم العلم كما كانت معجزة عيسى عليه السلام وانا كانت الامة من هواة اللسان فكانت معجزة نبيهم الفصاحة والبلاغة ، فكانت معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة ، فجاءت معجزته من جنس الفن الذى اشتهر به العرب وبلغوا فيه الذروة وكانوا يتفاخرون به ، فقد كان القرآن هو معجزة لم يسمع العرب مثله من قبل و من بعد ، لذلك لما استمعوا اليه وجدوه فوق ما عهدوا واستمعوا فيه اكثر مما توقعوا ، ويمتاز القرآن عن غيره من المعجزات بانه معجزة ابدية ، فهو بين ايدينا كما كان فى عهد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد خصه الله بالقران معجزة العقل الباقي على الزمان ليراها نواقل القلوب والبصائر ، هو معجزة الاسلام الخالدة ، وحجته الباقيه ، تقوم على فم الدنيا شاهدة بصدق الرسول ، ناطقة بعظمة الاسلام وخلود هذا الدين ، هكذا كتب الله للمعجزة الاسلام الخلود ، فضعفت القدوة الانسانية

مع تراخي الزمن وتقدم العلم عن معارضتها .

والحديث عن اعجاز القرآن ضرب من الاعجاز لا يصل الباحث فيه الى سر جانب منه حتى يجد وراءه جوانب اخرى يكشف عن سر اعجازها الزمن ، فهو كما يقول الرافعي : " ما اشبه القرآن الكريم في تركيب اعجازه واعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتشفه العلماء من كل جهة ، وتعاوروه من كل ناحية ، واخلقوا جوانبه بحثا وتفتيشا ، ثم هو بعد لا يزال عندهم على كل ذلك خلقا جديدا " ١ .

الموضوع الذي انتخبت لحصول الشهادة في ام ، فل هو اعجاز القرآن في القرن العشرين ، (دراسة نقدية) حاولت ان استعرض الموضوع كما حقه ، وطالعت الكتب التي تتعلق بالقرآن وعلومه ، وما علمت كتابا يتصل بهذا الموضوع الا حاولت ان احصله ، وهذه الرسالة قد قسّمتها في اربعة ابواب .

افردت الباب الاول ، بالقرآن الكريم ، ويشتمل هذا الباب على اهمية القرآن الكريم ، نزوله وجمعه وطريقة نزوله ، فذكرت فيه اهمية القرآن عند المسلمين ، وآراء العلماء فيه و مكانته في الاسلام ، وكيف نزل القرآن ، وحكمة نزوله في اكثر من عشرين عاما ، وبينت ايضا كيف جمع القرآن في مصحف واحد ، وما هي الاسباب التي دفعت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الى جمعه وتدوينه .

الباب الثاني وحده استغرق اكثر من نصف المقالة ، وكان لزاما ان يجبي الامر على هذا النحو لاني اخترت موضوعي " اعجاز القرآن في القرن العشرين " (دراسة نقدية) واخذت اتكلم تحت هذا الباب عن الاعجاز بالتفصيل والتوضيح ، وبينت ان القرآن معجزة محمد الخالده ، وقد طال الزمان والقرآن يتحدى اهلها بالاتيان بقرآن مثله في جملته ، او بعشر سور بل بسورة واحدة تماثله بلفظه ونظمه واسلوبه وهدايته وتأثيره وعلومه ، وقد عرف بعد طول هذا التحدي بانه كتاب الله المنزل ووحيه المعجز ،

وبعد ذلك قد ذكرت معنى اعجاز القرآن بحيث اللغة والتشريع ، واشرت الى حقيقة الاعجاز وبينت تحت عنوان ، (حقيقة الاعجاز) ان الاعجاز قد يتحقق بامور ثلاثة :

الاول : التحدى

الثاني: دوافع رد التحدى

الثالث : ان المانع قد يكون منتقيا

جاء النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكتاب تحديا للعرب ، وهم ائمة الفصاحة والبلاغة ، وطلب منهم معارضة القرآن : قال الله تعالى " قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " فكان التحدى موجوبا ، وان اسباب رد التحدى قائم ، لان النبي صلى الله عليه وسلم جاء بدين جديد وبعاهم الى اتباعه والى ايمان انه رسول من عند الله ، وقال ان الحجة على صدق هذا الكتاب الذى اوحاه الله الى فان لم تصدقوني فانا اتحداكم ان تاتوا بمثله او بمثل سورة منه ، ولاكن هم لا يستطيعون ان ياتوا بمثله ، وهم يريدون ان يبطلوا ان القرآن من عند الله ، ولهم ايسر الطرق ان يرددوا دعوى النبي صلى الله عليه وسلم بالفصاحة والبلاغة التى تجد فى القرآن ، وكان ذلك انفع لهم من الحرب فظهر لنا ان اسباب و دوافع رد التحدى توجد بكثرة كاثرة .

وبعد ذلك فصلت وجوه اعجاز القرآن كما بين العلماء وقد ذكرت الخلافا الذى

يوجد بينهم فى وجوه اعجازه ، ومع ذلك تكلمت عن انواع الاعجاز فى القرآن ، وبينت

ان انواع الاعجاز فى القرآن فى ثلاثة ابواب ، الاعجاز اللغوى ، الاعجاز العلمى ،

والاعجاز التشريعى ، وتناولت كلا منها بالتفصيل والتوضيح .

ويشتمل الباب الثالث على آراء العلماء فى الاعجاز ومذاهبهم ، وفيه تكلمت

عن الرجل الذى تكلم فى الاعجاز اولا ، بعد ذلك بينت آراء العلماء المتقدمين فى

الاعجاز ، اخص منهم :

- ١ - ابو حيان التوحيدى
- ٢ - ابو الفرج الاصفهانى
- ٣ - ابو بكر الباقلانى
- ٤ - قاضى عياض الاندلسى
- ٥ - ابن عطيه
- ٦ - جلال الدين السيوطى
- ٧ - كمال الدين الزملى
- ٨ - ابو الحسن حازم القرطبى
- ٩ - عبد القاهر الجرجانى
- ١٠ - ابو يعقوب السكاكى
- ١١ - محمد بن عبدالله الزركشى
- ١٢ - ابن سراقه

ومن هنا اخذت اكلم آراء الممتزله حول اعجاز القرآن واختلاف ما بينهم فى

الاعجاز ، وذكرنا ايضا بالتفصيل ، مذهب اهل الصرفة فى الاعجاز والرد عليه ، وان
ابا اسحاق ابراهيم النظام الذى بالغ فى القول بالصرفة حتى عرفت به ، كان هذا الرجل
مؤسس مذهب الصرفة ، هو يقول : ان الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها
ولو لا ان الله صرفهم عن ذلك لاستطاعوا ان ياتوا بمثل هذا القرآن : قد اشرت الى
هذا الراى والرد عليه بالبراهين والحجج الدامغة .

وفى الباب الرابع الذى هو الباب الاخير لهذه الرسالة ، قد حاولت استعرض
محاولة وتطور اعجاز القرآن فى القرن العشرين ، ولا قد ذكرت العلماء الذين عنوا باعجاز

القران فى القرن العشرين ، وبينت آرائهم فى الاعجاز ، منهم :

- ١ - مصطفى مائق الراعى
- ٢ - عبد العظيم الزرقانى
- ٣ - محمد ابو زهره
- ٤ - محمد على الصابونى
- ٥ - عبد الرزاق نوفل
- ٦ - مناع خليل قطان
- ٧ - الدكتور صبيحى الصالح
- ٨ - سيد قطب
- ٩ - احمد محمود سليمان
- ١٠ - نعيم الحمصى

وبعد ذلك اخذت اكلم عن الكتب التى قد الفت فى الاعجاز فى القرن العشرين

مع النقد والتعليق ، واخص منها :

- ١ - مباحث فى علوم القران
- ٢ - اعجاز القران والبلاغة النبويه
- ٣ - مناهل العرفان فى علوم القران
- ٤ - التصوير الفنى فى القران
- ٥ - التبيان فى علوم القران
- ٦ - تاريخ فكرة اعجاز القران

وفى ختام هذه الكلمات اقدم خالص شكرى واسجل ر . . . مائق المخلص

الكريم الذى بذله استاذى الجليل الدكتور البروفيسر محمد راشد الندوى
فى الاشراف هذه الرساله والتوجيه الدقيق المفيد فى فصولها ، مذ وقع اختيارى على

موضوع هذا البحث ، ولن أستطيع ان اقدر تفضله الذى اجزل ، فابتهل الى الله ان
يجزيه اكرم الجزاء ، كما اتقدم بالشكر الجزيل الى الدكتور البروفيسر عبد البارى
رئيس قسم اللغة وآدابها ، بجامعة على كره الاسلاميه ، على ما ابداه من ارشاد
سديد الذى يتصل من قريب او بعيد بموضوع هذا البحث ، اتقدم بالشكر الى الاستاذ
الدكتور صلاح الدين عمرى على مساعدته ، كما اتقدم بالشكر الى صديقى الحميم الاخ
عبد المالك الندوى على ما ساعدنى من الكتابة على الالة الكاتبه ، وكذلك اشكر
الاخوين الكريمين الدكتور خالد مجيد الفاضلى و آصف اقبال الفاضلى على مساعدتهما
لى اثناء تحقيق هذه الرسالة ، ولا يسعنى الا ان اقدم الشكر الخالص للاب المدفق والام
الحنون على ما قدما لى نصح وحب .

عبد الحميد الفاضلى
عبد الحميد الفاضلى
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة على كره الاسلاميه
على كره " الهند "

٢٦ / ٩ / ١٩٩١ م

البَابُ الْأَوَّلُ

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

اهمية القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلام الله تبارك و تعالى و آيات منزلة على نبينا الكريم

صلوات الله عليه ، خاتم الانبياء و المرسلين بواسطة الامين جبريل عليه السلام .

ان الله تبارك و تعالى ايد الرسول بالقرآن " لا ياتيه الباطل من بين يديه

ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد " ، كتاب فيه الهدى و النور ، نزل به الروح الامين

على قلب سيد المرسلين . القرآن جمع بين الدين و الدنيا و ضم فيه سعادة الآخرة ،

انزله الله تبارك و تعالى ليكون دستوراً للامة ، و هداية للخلق ، و ليكون آية واضحة

على صدق الرسول ، و برهانا ساطعاً على نبوته و رسالته ، و حجة قائمة الى يوم القيامة

القرآن هو حبل الله المتين و نوره المبين و الذكر الحكيم ، و هو الصراط المستقيم

و هو الذى لا تزيج به الالهواء و لا تلتبس به الالسنه ، و لا يشبع فيه العلماء ، و لا تنقص

عبائمه ، و من قال به صدق ، و من حكم به عدل ، و من عمل به اجر ، و من دعا اليه هدى

الى صراط مستقيم ، كتاب قضى على الالهام و الباطيل ، و اقتلع جذور الطغيان و الظلم

و الجهل من اساسها ، و دعا الى السلم العام ، و حث على طلب العلم و استعمال العقل و

ابتغاء الرزق فى اكناف الارض الواسعة .

القرآن آية الله الكبرى ، و كتاب النهر الخالد ، و دستور الحياة الاعظم

فلهذا كان من الطبيعى ان العلماء يتوافروا على دراسته ، و يبحثوا مختلف نواحيه المتعددة

الجديرة بالبحث و التعميق ، فخلفوا لنا تراثاً علمياً ضخماً فى علوم . يقول مصطفى صادق

الرافعى فى كتابه المشهور " اعجاز القرآن و البلاغة النبوية " : " القرآن ايات منزلة

من حول العرش ، فا لارض بها سماء هى منها كواكب ، بل الجند الالهى ، قد نشر له

من الفضيلة علم ، و انضوت اليه من الارواح مواكب ، اغلقت دونه القلوب

فا فتحم اقفالها ، و امتنعت عليه " اعراف " الضمائر

فابتز انفالها " ١ ، و كم صدوا عن سبيله صدا ، و من ذا يدافع السيل اذا هدد ، و اعترضوه باللسنة ردا ، و لعمرى من يرد على الله القدر ، و تخاطروا له بسفائهم كما تخاطرت الفحول باذئاب ٢ ، و فتحوا عليه من الحوائث كل شئ فيه من كل ناهية ناب . فما كان الانور الشمس ، لا يزال الجاهل يطعم فى سراجه ثم لا يضع منه قطرة فى سقائه ، و يلقي الصبى غطاءه ليخفيه بحجابه ثم لا يزال النور ينبسط على غطاءه ، و هو القرآن كما ظنوا مما انطوى تحت السنتهم و انتشر - كل ظن فى الحقيقة ثم ، بل كل ظن بالحقيقة كافر ، و حبوه امرا هينا ، لانه انزل فى الارض على بشر ، كما يحسب الاحق فى هذا السماء ارضا ذات دواب نورانية لان هلالها كانما سقط من حاضر ، و كم ابرقوا و ارعدوا حتى سأل بهم و بماحبهم السيل ، و اثاروا من الباطل فى بيضاء ليلها كنهارها ٣ ، ليجعلوا نهارها كالليل فما كان لهم الا ما قال الله : " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق و لكم الويل مما تصفون " .

توهموا السحر ما توهموه ، فلما انزله الله كتابه قالوا : هذا هو السحر المبين ، و كانوا ياخذون فى فئ ذلك بباطن الظن فاخذوا هذا بحق اليقين ، افسر هذا ام انتم لا تبصرون " ، و من الشعر ما تسمعون ام انتم لا تسمعون ، بل انه لسحر يغلب حتى يفرق بين المرء و عاقبه ، و ينفذ حتى ينصرف بين القلب و ارادته ، و يجرى فى الخواطر كما تصعد فى الشجر قطرات الماء ، و يتصل بالروح فانكأ يمد لها بسبب الى السماء ، و انه لسحر ، اذ هو الحافظ لم تعهدكم احداقها ، و ثمرات لم تنبت فى قلم او راقها ، و نور عليه رونق الماء فكانما اشتعلت به الغيوم ، لاجرم ان القرآن سر السماء فهو نور

١ - الاعراف : الامكنة العالية جمع عرف (بضم فسكون) والانفعال : الغنائم ، جمع نفر (بفتحتين) و المراد ان ضما ثرا المعرب امتنعت على القران بما استوعر فيه من العادات و الاخلاق فنفذ اليها و ابتزها و غلبها على امرها و الاعراف و الانفال ايضا السورتان المذكورتان فى القرآن .

٢ - اذا تصاولت الفحول من الابل تخاطرت باذنا بها كانما يحدد بعضها بعضا

٣ - اى فى هذه الملة السمحة ، و هذا وصفها فى الحديث الشريف ، و هو وصف دقيق بالذات .

الله في افق الدنيا حتى تزول ، و معنى الخلود في دولة الارض الى ان تدول ، و كذلك
تعدى العرب في طغيانهم يعمهون ، و ظلت آياته تلقف ما يافكون فوق الحق و بطل ما
كانوا يعملون " ١ .

فيظهر لنا ان الله سبحانه و تعالى انزله القرآن لهداية البشرية جمعاء
وهداية القران تمتاز بانها واضحة و تامة و عامة لجميع الناس في العالم ، اما وضوح
هذه الهداية الى البشرية جمعاء توافرت فيه كل الوسائل و العوامل ، اسلوب رائع معجز
في لغته و بلاغته و امثال واضحة تخرج ادق المسائل في صورة مشرقة و حكم بالغات تبهر
الالباب بمحاسن الاسلام و الدين الحنيف و يهذب النفوس و يصقل افكارها و العواطف ،
و يحزن الانسان الى التضحية و الاعمال المألحة ، و كل انسان حينما يتدبر في القرآن
فيظهر له وضوح هذه الهداية السماوية الالهية .

و اما اتمام هداية القرآن فانها اشتملت اكثر و اوفى ما عرفت البشرية و
عرف التاريخ من هدايات الله و الناس ، و انتظمت كل ما تحتاج اليه البشرية جمعاء في
العقائد و الاخلاق و العبادات و المعاملات على اختلاف انواعها ، و نظمت علاقة الانسان
بربه و بالكون الذي يعيش فيه بطريقة واضحة .

و اما عموم هداية القرآن فهي واضحة جدا لانها تنتظم الانس و الجن ، في
كل عصر و مصر ، و في كل زمان و مكان قال الله تعالى في القرآن المجيد : " و اذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا انصتوا ، فلما قضى ولوا الى
قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه
يهدى الى الحق و الى طريق مستقيم ، يا قومنا اجيبوا داعي الله و آمنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم و يجركم من عذاب اليم ، و من لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض و ليس
له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين " ٢ .

١ - اعجاز القرآن و البلاغة النبوية ص ٢٥ - ٢٢ .

٢ - سورة الاحقاف الاية ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ .

و قال فى مكان آخر : قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون " ١ . فاثبتت الايات المذكورة ان هداية القرآن عامة لكل ما يريد الهداية والسلامة فى الدنيا والاخرة .

فان القرآن الكريم شريعة الله للانسانية جمعاء ، و دستور الامة الاسلامية بجميع ما تحتاج الانسانية فى هذا الكون ، وهو النور الربانى ، والهدى السماوى ، و كتاب كامل ، و نظام شامل يشمل جوانب الحياة كلها فى العقائد والعبادات والاخلاق ، والمعاملات فى السلم والحرب و فى معاملات الاقتصادية ، فهو لا شك فيه كتاب جامع انزله الله تبياناً لكل شئى وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ، كما قال الله تعالى : "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلوة و مما رزقناهم ينفقون " ٢ . و يقول محمد على الصابونى : " انزل الله كتابه العظيم ، ليكون دستوراً للمسلمين ، و منهاجاً يسرون عليه فى حياتهم ، فيستضيئون بضياؤه ، و يهتدون بهديه و يقبسون من تعاليمه الرشيدة ، و نظمه الحكيمة ما يجعلهم فى اوج السعادة والعزة ، و يرفع بهم الى نرى المجد والكمال ، و يؤهلهم الى قيادة ركب الانسانية ، و يجعلهم السادة والقادة فى هذه الحياة ، يسرون بالامم الى حياة العزة والكرامة ، و يوصلونهم الى شاطئ الامن والاستقرار والسلام .

و لا ريب ان البشرية تتخبط اليوم فى ظلمات الشقاوة والجاهلية و تفرق فى بحار التحلل و عبادة المال ، و ليس لها من منقذ الا الاسلام ، عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن و نظمه الحكيمة ، التى روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشرى ، على ما

١ = سورة الاعراف الاية ١٥٨ .

٢ = سورة البقرة الاية ١ - ٣

احاط به علم الخالق الحكيم ، و من البدهى ان العمل بهذه التعاليم لا يكون الا بعد فهم القرآن و تدبره ، و الوقوف على ما حوى من نصح و ارشاد ، و هذا لا يتحقق الا عن طريق الكشف و البيان ، لما تدل عليه آيات القرآن ، و هو ما نسميه (علم التفسير) خصوصا فى هذه العصور الاخيرة التى فسدت فيها ملكة البيان العربى ، و ضاعت فيها خصائص العروبة حتى من سلائل العرب انفسهم ، فالتفسير هو المفتاح لهذه الكنوز و الذخائر ، التى احتواها هذا الكتاب المجيد ، و بدونيه لا يمكن الوصول الى هذه الكنوز و الذخائر ، و اللالى و الجواهر ، مهما بالغ الناس فى ترديد الفاظ القرآن ، و قرعوا اياته فى كل صباح و مساء ، و انه لمن المؤسف ان يكتفى المسلمون من القرآن بالفاظ يرددونها ، و انغام يلحنونها ، فى المآتم و المقابر ، و عند الاحتفالات الرسمية ، ثم لا يكون للقرآن نصيب منهم الا الطرب بالسماح او التبرك بالتلاوة ، و هذا ما عناه الرسول صلى الله عليه و سلم بقوله (يتخذون القرآن مزامير) ، و قد نسى المسلمون او تناسوا ان بركة القرآن العظمى انما هى فى تدبره و تفهمه ، و فى الاهتداء بهديه ، و الاستفادة من تعاليمه و توجيهاته ، ثم الوقوف عند اوامره و مراضيه ، و البعد عن مساخلة و نواهيه ، والله تعالى يقول : " كتاب انزلناه اليك مبارك ليتدبروا آياته ، و ليتذكر اولوا الالباب ويقول سبحانه " افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ، و يقول جل ذكره : ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " ، فما اشبه المسلمين اليوم بالرجل العطشان يموت من الظما و الماء بين يديه ، او بالحيوان يهلك من الجوع و العطش و الزاد و الماء على ظهره و ما اجمل قول القائل : "

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ

و الماء فوق ظهورها محمول

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قال : " لقد تركت فيكم امرين ، لن

تضلوا ما تمسكتم بهما بعدى ابدا ، كتاب الله و سنتى " - ١ - .

نزول القرآن الكريم

انزل الله تبارك و تعالى هذا القرآن ، فى السابع عشر من رمضان ، لاربعين سنة خلت من حياة النبى صلى الله عليه و سلم ، حينما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصوم و يتعبد فى غار حراء اذ نزل عليه الوحي بايات القرآن الكريم ، فضمه الى صدره ، و يقول جبرئيل (اقرأ) و الرسول الكريم يقول (ما انا بقارى) ، وفى المرة الثالثة قال له " اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم " ١ . بعد ذلك ربما نزلت الاية المفردة وربما نزلت عدة آيات ، و هذا بحسب الحاجة التى تكون سببا فى النزول وقد اخرج البخارى فى صحيحه فى باب (بدء الوحي) ما يشير الى هذا و الى كيفية نزول القرآن الكريم حيث روى بسنده عن عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها : انها قالت " اول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب اليه الخلاء و كان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله و يتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق و هو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ ، قال ما انا بقارى ، قال فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى ، فقال اقرأ ، فقلت ما انا بقارى فاخذنى فغطنى الثالثة ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق فرجع بها رسول الله صلى الله عليه و سلم يرجف فؤاده " ٢ . و ان نزول القرآن فى شهر رمضان قد ثبت و فيه نص صريح فى القرآن الكريم حيث قال الله تعالى " شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان " ٣ .

= ١ = سورة العلق الاية ١ - ٥ .

= ٢ = الجامع الصحيح للبخارى

= ٣ = سورة البقرة الاية ١٨٥ .

و بنزول هذا القرآن وصلت هداية الله الى الخلق ، و كان هذا النزول بواسطة جبرئيل امين عليه السلام ، و فى ذلك يقول الله تعالى : نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين ١ .

طريقة نزول القرآن الكريم

ان للقرآن الكريم طريقان للنزول :

الاول : انزل الله تعالى من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فى ليلة القدر فى مرة واحدة .

الثانى : من السماء الدنيا الى الارض فى مدة ثلاث وعشرين سنة .

اما الاول : فقد كان فى ليلة القدر انزل الله تبارك و تعالى فيه القرآن كاملا الى السماء الدنيا ، و يدل عليه قوله تعالى " انا انزلناه فى ليلة القدر ، و ما ادراك ما ليلة القدر " ، و قوله تعالى : شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان ٣ " هو قوله تعالى : حم و الكتاب المبين ، انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين ٤ " .

فقد دلت هذه الايات الثلاث على ان القرآن انزل فى ليلة واحدة ، و كما جاءت الاحاديث الشريفة تؤيد ذلك منها " عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : انزل القرآن فى ليلة القدر جملة واحدة الى سماء الدنيا ، و كان بمواقع النجوم ، و كان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه و سلم بعضه فى اثر بعض " ٥ .

١=سوره الشعراء الاية ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥

٢= سورة القدر الاية ١ - ٢ .

٣= سورة البقرة الاية ١٨٥ .

٤= سورة الدخان الاية ١ - ٣ .

٥= الاتقان فى علوم القرآن ١ / ٤١ ،

و اخرج الحاكم و البيهقي ايضا و النسائي من طريق داؤد بن ابي هند عن
 عكرمة عن ابن عباس قال انزل القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ليلة القدر ثم انزل
 بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ و لا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق و احسن تفسيراً ، و قرآننا
 فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلاً " ١٠ . و اخرج الحاكم و ابن ابي
 شيبة عن طريق حسان بن حريث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : فضل القرآن من الذكر
 فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا ، فجعل جبرئيل ينزل على النبي صلى الله عليه
 و سلم " ٢٠ .

كتب محمد علي الصابوني في كتابه التبيان في علوم القرآن عن هذه الروايات
 اختلاف .

فهذه الروايات الثلاث رواها السيوطي في كتابه (الاتقان في علوم القرآن)
 و بين انها كلها صحيحة ، كما روى (السيوطي) ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
 سأله (عطية بن الاسود) فقال : اوقع في قلبي الشك قوله تعالى " شهر رمضان الذي
 انزل فيه القرآن " و قوله انا انزلناه في ليلة القدر " ، و هذا انزل في شوال ، و في
 ذي القعدة ، و في ذي الحجة ، و في المحرم و صفر ، و شهر ربيع ، فقال ابن عباس : انه
 انزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ، ثم انزل على مواقع النجوم رسلاً في الشهور
 و الايام ، يريد بقوله (مواقع النجوم) و بقوله (رسلاً) اي انه انزل منجماً مفزلاً
 يتلو بعضه بعضاً على تؤدة و رفق ، و ذكر (السيوطي) نقل حكاية الاجماع على نزول
 القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا " ٣٠ .

= ١ = الاتقان في علوم القرآن ٤١/١
 = ٢ = المرجع نفسه و الصفحة
 = ٣ = التبيان في علوم القرآن ص ٣٨ - ٣٩ .

الثانى : من السماء الدنيا على قلب النبى صلى الله عليه وسلم فى مدة ثلاث وعشرين سنة ، وهى من حين البعثة الى حين وفاته صلى الله عليه وسلم ، معنى هذا القول الثانى ابتدئ انزاله فى ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما فى اوقات مختلفة من سائر الاوقات .
والدليل على هذا النزول قوله تعالى :

و قرآنا فرقناه ليقرأه على الناس على مكث ، و نزلناه تنزيلا " و قوله تعالى فى سورة الفرقان " و قال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا " ١ .

كتب محمد على الصابونى : " روى ان اليهود والمشركين عابوا على النبى صلى الله عليه وسلم نزول القرآن مفرقا ، واقترحوا عليه ان ينزل جملة واحدة حتى قال اليهود له : يا ابا الحاسم لو لا انزل هذا القرآن جملة واحدة كما انزلت التوراة على موسى ، فانزل الله هاتين الآيتين ردا عليهم ، وهذا الرد - كما يقول الزرقانى - يدل على امرين : احدهما : ان القرآن نزل مفرقا على النبى صلى الله عليه وسلم .
والثانى : ان الكتب السماوية قبله نزلت جملة واحدة ، كما اشتهر ذلك بين جمهور العلماء حتى كاد يكون اجما عا .

ووجه الدلالة على هذين امرين :

ان الله تعالى لم يكذبهم فيما ادعوا من نزول الكتب السماوية جملة ، بل اجابهم ببيان الحكمة فى نزول القرآن مفرقا ، و لو كان نزول الكتب السماوية مفرقا كالقرآن لرد عليهم بالتكذيب ، و باعلان ان التنجيم هو سنة الله فيما انزل على الانبياء من قبل ، كما رد عليهم حين طغوا على الرسول و قالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق " رد عليهم بقوله " و ما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام و يمشون فى الاسواق " ٢ .

= ١ = سورة الفرقان الاية ٣٢ .

= ٢ = التبيان فى علوم القرآن ص ٤٠ .

عن ابن عباس قال نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا منجمته السفرة على جبرئيل عشرين ليلة و نجمه جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة " ١ •
و صاحب الاتقان السيوطي يقول : " السر في انزاله جملة الى السماء تفخيم امره و امر من نزل عليه و ذلك باعلام سكان السموات السبع ان هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لا شرف الا م قد قربناه اليهم لننزلهم عليهم و لو لان الحكمة الالهية اقتضت و صوله اليهم منجما بحسب الوقائع لهبط به الى الارض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله ، و لكن الله باين بينه و بينها فجعل له الامر انزاله جملة ثم انزاله مفرقا تشريفا للمنزل عليه " ٢ •

جمع القرآن الكريم

جمع القرآن الكريم في عهدين ، عهد النبوة ، و عهد الخلفاء الراشدين ، في عهد النبوة كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل في القرآن ابتداء من انفسهم ، و قد كانوا يتسابقون الى تلاوة القرآن ، و يبذلون قصارى جهودهم لا تخاذه و حفظه ، و يعلمونه ازواجهم و اولادهم في البيوت ، و قد اشتهر كثير من الصحابة بحفظ القرآن الكريم و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثهم الى المدن و القرى لتعلم القرآن الكريم • كتب محمد على المابوني : " كان حفاظ القرآن في حياة الصحابة و الرسول صلى الله عليه و سلم لا يحصون ، و يكفي ان نعلم ان عدد الذين استشهدوا في معركة اليمامة يزيد عددهم على سبعين من كبار الحفاظ ، كما قتل مثل هذا العدد في عهد الرسول ببشر معونة ، قال القرطبي (قتل يوم اليمامة سبعون من القراء و قتل في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ببشر معونة مثل هذا العدد) اي ان عدد الذين استشهدوا من

= ١ = الاتقان في علوم القرآن ٤٢/١

= ٢ = نفس المصدر

الحفظة ١٤٠ . و لقد كانت اشرف خصوصية لهذه الامة المحمدية ان يكون هذا الكتاب المقدس محفوظا في صدورهما ، و ان تعتمد في نقله على حفظ القلوب و الصدور ، لا على كتابته في المصاحف و السطور فحسب ٠٠٠٠٠ بخلاف اهل الكتاب الذين لا نجد منهم من يحفظ التوراة و الانجيل ، و انما يعتمدون في حفظهما على الكتب المسطرة ، و لا يقرأونه الا نظرا ، لا عن ظهر قلب ، و لهذا دخل اليهما التحريف و التبديل ، اما القرآن الكريم فقد حفظه الله بعنايته الالهية ، فيسره للحفظ (و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) و صانه من التحريف و التبديل بطريق حفظه في السطور ، وحفظه في الصدور ، و مصداقا لقوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون) و هذا - بذيك - عناية من الله خاصة بهذا القرآن المجيد و شرف عظيم اختص الله به هذه الامة المحمدية حيث جعل انا جيلها في صدورهما ، و انزل عليها كتابا لا يغسل الماء " ١ .

اما طريقة الكتابه فيخلون القرآن و يكتبونه على العصب و عظام الاكناف و قلع الاديم و لانتاع من الشاة و الابل ، و كل ما وجدوا من مثلها و يكتب كل منهم ما تبسر له او يسرته احواله او ما يقع تحت ايديهم مما يصلح للكتابة ، كذا لك قد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا ترتيبا لسور ، كما روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع " ٢ . و هنا المراد تاليف ما نزل من الآيات المفردة في سورها و جمعها حسب ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ، و بامر من الله تبارك و تعالى ، و لهذا اتفق العلماء على ان جمع القرآن بهذه الطريقة التي نراه عليها اليوم في المصاحف انما هو بامر و وحي

= ١ = التبيان في علوم القرآن ص ٥٧ - ٥٨ .

= ٢ = الاتقان في علوم القرآن ص ٥٩ .

من الله تبارك و تعالى ، فقد ورد ان جبرئيل عليه السلام كان ينزل بالاية او الايات على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : " يا محمد ان الله يامرك ان تصنعها على رأس كذا من سورة كذا ، و كذلك كان الرسول يقول للمصاحبة : ضعواها في موضع كذا .
جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين (ابو بكر صديق)

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان بلغ الامانة و هدى الناس الى دين الله تبارك و تعالى و القرآن في ذلك الوقت في الصدور ، ثم تولى الخلافة بعد وفاته ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، و كانت في مدة خلافته حروب الردة التي وقعت بين المسلمين و بين اتباع مسيلمة الكذاب ، و قد استشهد فيها كثير من قراء المصاحبة ، و من حفظه القرآن الكريم يزيد عددهم على سبعين من كبار الحفاظ القرآن ، و كان قد قتل منهم بيثر معونة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه و عز الامر عليه ، فدخل على ابى بكر رضى الله عنه فاشار عليه ان يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ ، فتردد ابو بكر و قال افعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و قد روى البخارى في صحيحه قصة هذا الجمع و هي كما تلى .

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه ان قال : ارسل الى ابو بكر رضى الله عنه مقتل اهل اليمامة (استشهد الحفاظ السبعين في معركة اليمامة) ، فاذا عمر جالس عنده ، فقال ابو بكر : ان عمر جاءنى فقال : (انى القتل قد استحر) اى كثر و اشتد يوم اليمامة بقراء القرآن ، و انى اخشى ان يستحرا القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب كثير من القرآن و انى ارى ان تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر ، كيف افعل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر رضى الله عنه : هذا والله خير ، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله تعالى صدرى لذلك ، و رأيت في ذلك الذى رأى عمر ، قال زيد : فقال ابو بكر انك رجل شاب عاقل ، لا نتهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله

صلى الله عليه وسلم فقتب القرآن أفاعمه ، قال زيد : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن ، فقلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : هو والله خير ، فلم يسزل يراجعني حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقتبعت القرآن أجمعه من اللخاف ، والعصب ، و صدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة مع (أبى خزيمة الانصارى) لم أجدها مع احد غيره (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف الرحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم) ، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله تعالى ، ثم عند عمر رضى الله عنه حتى توفاه الله تعالى ، ثم عند (حفصة بنت عمر) رضى الله عنهم أجمعين " ١ .

وهذا الذى فعله أبو بكر رضى الله عنه واختار زيد بن ثابت من بين الصحابة لهذا العمل و ائتمنه لانه حافظ ، ولأنه كاتب الوحي ، واجتمع القرآن ما لم يجمع فى غيره من الرجال وكان معروفا بشدة ورعه وخلقه وأمانته واستقامة دينه وهذا ما اشار اليه فى رواية البخارى حين قال له أبو بكر رضى الله عنه : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و ان رواية البخارى دلت على تردد أبى بكر رضى الله عنه عن جمع القرآن . ما هو السبب الحقيقى ، و الجواب عن ذلك كما كتب محمد على الصابونى ، " ان أبى بكر رضى الله عنه خشى ان يتساهل الناس فى استظهار القرآن وحفظه غيبا و يعتمدوا على وجوده فى المصاحف فتضعف نفوسهم عن الحفظ ، و تصبح رغبتهم ضعيفة فى حفظه واستظهاره اعتمادا على انه مسطر و موجود فى مصاحف مطبوعة يمكنهم قراءة القرآن بها ، اما قبل ان توجد المصاحف فقد كان الجميع يسعون جهدهم لحفظ القرآن هذا من ناحية ، و من ناحية اخرى فان أبى بكر الصديق كان رجلا وقافا عند حدود الشريعة ، مقتنيا لآثار الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد خشى ان يكون معمله هذا مبتدعا شيئا لا يحبه رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، و لهذا قال لعمر (كيف افعلى شيئا ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، و لعله كان يخاف ان يسوقه الانساء و الاختراخ الى الوقوع فى المخالفة و الابتداء ، و لكنه لما رأى الامر خطيرا و الفكرة - فى حد ذاتها - وسيلة من اعظم الوسائل لحفظ الكتاب الشريف و المحافظة عليه من الضياع و لامن البدع المستحدثة عزم على جمع القرآن ، و ظل يقنع زيدا بذلك حتى شرح الله صدره فقام بتنفيذ ذلك الامر الخطير . ١

وقد ثبت ان اول من جمع القرآن هو ابو بكر رضى الله عنه " كما روى عن الليث بن سعد قال اول من جمع القرآن ابو بكر و كتبه زيد و كان الناس ياتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية الا بشاهد ي عدل و ان آخر سورة براءة لم توجد الا مع خزيمة بن ثابت فقال اكتبوها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب ، و ان عمر اتى بآية رجم فلم يكتبها لانه كان وحده " . ٢

فهذه الرواية دلت على ان جمع القرآن فى زمن ابى بكر الصديق رضى الله عنه هو اول جهد كامل لجمع القرآن او هذا الطريق ، و له اهمية كبرى و المزايا الخاصة . اهمها ، التثبيت الكامل ، الدقيق التام ، و لم يسجل و يكتب الا ما ثبت عدم نسخ تلاوته و اجماع الامة عليه ، و تواتر ما سجل فيه من الايات القرآنية .

و هذا هو ابو بكر رضى الله عنه الذى قد ادى دورا هاما و لا يكاد ينساه تاريخ الانسانية الى الابد ، و لا يزال التاريخ يذكره بالثناء الجميل ، يقول محمد على الصابونى " و هذه المزايا جعلت الصحابة يلهجون بالثناء العاطر على ابى بكر الصديق حيث حفظ القرآن الكريم من الضياع ، و ذلك بتوفيق من الله عز وجل و مدد

= ١ = التبيان فى علوم القرآن ص ٦٢ .

= ٢ = الاتقان فى علوم القرآن ص ٦٠ .

من عنده ، وقد قال (على بن ابي طالب) كرم الله وجهه (اعظم الناس في المعاصي حفا
اجرا ابو بكر ، رحمة الله على ابي بكر ، هو اول من جمع كتاب الله) ، ولقد اصبح
جمع القرآن منقبة خالدة لا يزال التاريخ يخذلها بالجميل والثناء العاطر لابي بكر
في التوجيه والاشراف ، ولزيد بن ثابت في التنفيذ والعمل رضوان الله عليهم اجمعين
و جمع القرآن في مصحف واحد في عهد ابي بكر لا يعني ان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
لم يكن لديهم مصاحف كتبوا فيها القرآن من قبل فان ذلك لا ينافي ان يكون لبعض الصحابة
مصحف خاص ولكن هذه المصاحف لم تظهر به مصحف ابي بكر من دقة البحث والتحري ، والاقتصار
على ما لم تنسخ تلاوته ، ومن بلوغه حد التواتر ، و من اجماع الامة عليه ، ومن
شموله للاحرف السبعة (القراءات السبع) ، فهذا (على) رضي الله عنه كان له مصحف
خاص كتبه في بدء خلافة ابي بكر ، وعزم الا يخرج الا للصلاة حتى ينتهي من كتابته ...
روى السيوطي عن (محمد بن سيرين) عن (عكرمة) انه قال : لما كان بدء
خلافة ابي بكر ، قعد على بن ابي طالب في بيته ، فقبل لابي بكر : فكره بيعتك فارسل
اليه فقال : اكرهت بيعتي ، فقال : رأيت كتاب الله يزداد فيه فحدثت نفسي الا البس
ردائي للصلاة حتى اجمعه ، قال له ابو بكر : فانك نعم ما رأيت فقد كان له مصحف
ولكنه كما يروى عن ابن سيرين كان فيه النسخ والمنسوخ فلم يكن مثل مصحف ابي بكر " ١ .

جمع القرآن الكريم (في عهد عثمان)

اما جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه كانت له عدة اسباب
فلما كانت غزوة ارمينية و غزوة آذ ربيجان ، فظهرت كثرة اختلاف المسلمين في وجود
القراءة ، وما يبدر على السنتهم حين ياتي كل فريق منهم بما لم يسمع من غيره ،
حتى يكفر بعضهم بعضا ، وان سببه الاصيل ان الفتوحات الاسلامية اتسعت في عهد عثمان

و تفرق المسلمون في العالم كله ، و يقرؤون القرآن بقراءة الصحابي
الذى علمهم القرآن ، فاهل الشام كانوا يقرؤون بقراءة ابي بن كعب ، و اهل الكوفة
بقراءة عبد الله بن مسعود ، وبعضهم يقرؤون بقراءة ابي موسى الاشعري ، فكان بينهم
اختلاف في وجوه القراءة ، و كانوا يتمارون فيه و يكفروا بعضهم بعضا ،
روى عن ابي قلابه انه قال : لما كانت خلافة عثمان ، جعل المعلم
(المقرئ) يعلم قراءة الرجل ، و المعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون
فيختلفون ، حتى ارتفع الى المعلمين ، حتى كفر بعضهم بعضا ، فبلغ ذلك عثمان فخطب
فقال : (انتم عندى تختلفون ، فمن نأى (اى بعد) عنى من الامار فهم ائد اختلاف) .
لهذه الاسباب و الاحداث رأى عثمان بناقبرأيه و صادق نظره ، ان يتدارك الخرق
قبل ان يتسع على الراقع ، و ان يستأصل الداء قبل ان يصعب الدواء ، فجمع اعلام
الصحابة و رجال الراى و البصر فيهم ، و استشارهم فى علاج تلك الفتنة ، و علاج
ذلك الاختلاف ، فاجمعوا امرهم ان يستنسخ امير المؤمنين مصاحف عديدة ، و يبعث الى
كل بلد او مريض مصحف منها ، و ان يأمر الناس باحراق كل ما عداها حتى لا يبقى ثمة
طريق للنزاع و الاختلاف فى وجوه القراءة ، فشرع - رضى الله عنه - بتنفيذ هذا
القراء الحكيم ، فعهد الى اربعة من خيرة الصحابة ، و ثقات الحفاظ ، و هم (زيد
بن ثابت) و (عبد الله بن زبير) و (سعيد بن العاص) و (عبد الرحمن بن
هشام) و قد كانوا جميعا من قريش من المهاجرين الا (زيد بن ثابت) فقد كان من
الانصار ، و كان هذا العمل الجليل سنة اربع و عشرين من الهجرة ، و قال لهؤلاء
اذا اختلفتم فى شئ من وجوه القراءة فاكتبوه بلغة قريش ، فان القرآن نزل بلغتهم
و طلب عثمان من (حفصة بنت عمر) ان تعطيه المصحف الذى كان عندها ، و الذى
جمعه ابو بكر لينسخ منه عدة نسخ ثم يعيده اليها ، ففعلت " ١ .

بعد هذا اجمعوا امرهم ان ينتسخوا الصحف الاولى التي كانت عند ابي

بكر ، و ان يأخذوا الناس بها ، و يجمعوهم عليها ، حذارا تلك الردة المشتبهة ،
ثم بعث في كل افق بمصحف من تلك المصاحف ، و كانت سبعة - في قول مشهور - فارسل منها
الى مكة ، والشام ، واليمن ، والبحرين ، والبصرة ، والكوفة ، وحبس بالمدينة
واحدا ، و هو مصحفه الذي يسمى الامام ، ثم امر بما عدا ذلك من صحيفة او مصحف
ان يحرق ، كما روى البخاري عن انس بن مالك حدثه عن حذيفة بن اليمان قدم على
عثمان ، و كان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية و آذربيجان مع اهل العراق ،
فافزع حذيفة اختلا فهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان يا امير المؤمنين ، ادرك
هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلافا ليهود و النصارى فارسل عثمان الى
حفصة ان ارسلني اليها بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة
الى عثمان ، فامر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن
بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، فقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :
انا اختلفتم انتم و زيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل
بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا المصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف الى حفصة
و ارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا ، و امر بما سواه من القرآن في كل صحيفة او
مصحف ان يحرق " ١٠ .

و كان بعد جمع القرآن في عهد عثمان و انتشار المصاحف العثمانية في

الاقطار و الامصار ، ان الامة استوثقت على ذلك بالطاعة و احرق كل امرئ ما كان
عنده مما يخالفها ترتيبا او قراءة .

البَابُ الثَّانِي

اعجاز القرآن الكريم

القرآن معجزة محمد الخالدة

ان الله تبارك و تعالى ايد نبيه محمد بقرآن حكيم ، لا ياتيه الباطل

من بين يديه و لامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ، كتاب فيه الهدى والنور ، كتاب

جمع بين الدين والدنيا ، و ضم بين دفتيه سعادة الاخرة و الاولى ، كتاب فيه

من الحقائق العلمية و من الوقائع التاريخية ، كتاب قضى على الاوهام و الباطيل

و اقتلع جذور الطغيان و الظلم و الجهل من اساسها .

و الشئ الذى ظهر لنا بعد كل ذلك و هو ان القرآن معجز بالمعنى الذى

يفهم من لفظ الاعجاز على اطلاقه ، و معجز فى تاريخه دون سائر الكتب ، و معجز فى

اثره الانسانى ، و معجز كذلك فى حقائقه ، و هذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الانسانية

فى شئ ، و هذه سنة الله ان يؤيد رسله و انبياءه بالمعجزات الباهرات و الحجج

الدائمة التى تدل على صدقهم ، هذه المعجزات تتناسب مع تلك العصور و الزمان ،

يقول محمد على الصابونى : " و لئن كانت معجزة الانبياء السابقين معجزات " حسية -

تتناسب مع العصر و الزمان الذى بعثوا فيه كمعجزة موسى عليه السلام حيث كانت

(اليد و العصا) لانه بعث فى زمن كثير فيه السحرة و اشتهر فيه السحر ، وكذلك معجزة

عيسى عليه السلام حيث كانت باحياً الموتى ، و ابراً الأنكمه و الابرص و الاخبار عن بعض

المغيبات ، لانه بعث فى عصر كثير فيه الطب و الحكمة ، و ظهر فيه الاطباء و البارعون ،

فاتا هم عيسى بن مريم بما ادهشهم و اعجزهم من شفاء المرضى و احيا الموتى ، و ابراً العمى

البكم الصم ، اقول : انا كانت معجزات الانبياء السابقين معجزات (مادية حسية) فان

معجزة محمد ابن عبد الله معجزة روحية عقلية و قد خص الله بالقرآن معجزة العقل

الباقى على الزمان ، ليراها ذوا القلوب و البصائر ، فيستنبطوا بضيائها و ينتفعوا

بهديها فى المستقبل الحاضر هذا الوحي السماوى الذى القاه قلب بنبيه الامين

ليكون ضياء و رحمة للعالمين ، و هو معجزة الاسلام الخالدة و حجة الباقية ، تقوم

على فم الدنيا شاهدة بمدق الرسول ، ناطقة بعظمة الاسلام و خلود هذا الدين بينما نهبت المعجزات الحية ، و مضت مع احداثها الكونية ، و تلاشت من الوجود بعد وفاة الانبياء الكرام الذين اتوا بها ، فلم يعد لها وجود و بيان الا في هذا القرآن الذى اخبر عنها فكان له الفضل الاعظم عليها سابقا و لاحقا " ١ .

ان رسول الله قدم القرآن للعرب دليلا على صدق دعوته ، و برهانا على انه رسول ، و تحداهم ان ياتوا بمثله : فقال الله تعالى : لئن اجتمعت الانس و الجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ، و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا " ٢ . قرأ محمد صلى الله عليه و سلم ذلك على زعماء من قومه ، و المعارضين منهم ، فابلسوا فتحداهم ان ياتوا بسورة واحدة فعجزوا ، قل فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا و لن تفعلوا ، فاتقوا النار التى وقودها الناس و الحجاره اعدت للكافرين " ٣ .

فعجز العرب ان ياتوا بمثله ، و اعترف المنصفون منهم ، و العقلاء فيهم ، بان معرضته تقصر عنها قدرتهم بل قدرة جميع البشر ، مع ذلك قد كانوا فى نهضة لغوية شاملة فيهم نوابغ الشعراء و مصاقع الخطباء ، و كانوا يتنافسون على الفصاحة و البلاغة و اللغة و يتفاخرون بينهم و لكنهم وقعوا فى حيرة من امر هذا الكتاب ، فقد وجدوا له فى انفسهم تاثيرا بالغا لا يجدونه لغيره من الوان الكلام ، فنسبوه حينئذ الى السحر و حينئذ الشعر ، ان هذا الاسحر يؤثر - بل قالوا اضغاث احلام - بل افتراه بل هو شاعر ، فاليأتنا بآية كما ارسل الاولون ، ما هذا الاسحر مفترى ، و ما سمعنا بهذا فى آباءنا الاولين ، و حينئذ مضوا بعد ان سمعوا القرآن ، يقولون لو نشاء لقلنا مثل

= ١ = التبيان فى علوم القرآن ص ٨٢ .

= ٢ = بنى اسرائيل الاية ٨٨

= ٣ = سورة البقرة الاية ٣٣ .

هذا ، ان هذا الاساطير الاولين " ١ " و لم لم يثاؤوا ، و القرآن يدعوهم في كل وقت الى ان ياتوا بمثله ، و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، بعد عجزهم اخذوا يوهمون الناس ان ليس في هذا القرآن شئ ما يستحق المعارضة ، لان من جاء به هو مجنون ، وقالوا : يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون " ٢ " ، و يقولون اننا لطاركو آلهتنا لشاعر مجنون " ٣ " ، و ان القرآن لم يزل يتحداهم بان يأتوا بايات قليلة من مثله ، و يذكر فيما يذكر تعظيم شأنه وتفضيم امره ، فيقول : الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله " ٤ " ، و يقول " ولقد اتيناك سبعا من المثاني و القرآن العظيم " ٥ " ، ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم " ٦ " ، و ننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين " ٧ " ، لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله " ٨ " .

و ذلك كله مما يدفعهم الى مباراته ليضعوا من شأنه ولكنهم لم يفعلوا ، وانتهى الامر بهم الى ان فكروا في حيلة صبيانية ، تحول بينه و بين التأثير فسي نفوس سامعيه ، تلك هي ان يمنعوا انفسهم من الاصفاء اليه ، و يمنعوا غيرهم كذلك

= ١ = سورة الحديد الآية ٣١

= ٢ = سورة الحجر الآية ٦

= ٣ = سورة الصافات ٣٦

= ٤ = سورة الرعد الآية ١٣٣-

= ٥ = سورة الحجر ٨٢

= ٦ = سورة الاسراء الآية ٩

= ٧ = سورة الاسراء الآية ٨٢

= ٨ = سورة الحشر الآية ٢١

كما قال الله تعالى: و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " ١ ، غير انهم لم يستطيعوا ان يبطلوا تأثيره ، و لان يوقفوا تيار تدفقه في القلوب ، فلجئوا الي السيف يحكم بينهم و بين محمد صلى الله عليه و سلم ، فكان التجاؤهم الي السيف الحجة القاطعة على عجزهم عن معارضة القرآن .

و يمتاز القرآن عن غيره من المعجزات بانه معجزة ابدية ، فهو بين ايدينا كما كان في عهد اجدادنا ، و سيظل امام احفادنا ، يطاول الخلود و لن يصبح موضع الشك ، و لن ياتي اليوم الذي يقال فيه : اين الدليل على ان القرآن نزل على محمد معني اعجاز القرآن

الاعجاز في اللغة العربية : هو نسبة العجز الى الغير ، قال تعالى:

" اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سورة اخي " ٢ .

والمعجزة: - امر خارق للعادة مقرون بالتحدي عن المعارضة " ٣ ، لان البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها ، لانها خارج عن حدود الاسباب المعروفة ، اعجاز القرآن مركب اضافي ، معناه بحسب اصل اللغة : اثبات القرآن عجز الخلق عن اتيان بما تحداهم به ، فهو من اضافة المصدر لفاعله ، و المفعول و ما تعلق بالفعل محذوف للعلم به " ٤ . و اعجاز القرآن معناه : اثبات عجز البشر - متفرقين و مجتمعين - عن

الاتيان بمثله ، و ليس المقصود من اعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز ، اي تعريفهم بعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن ، فان ذلك معلوم لدى كل عاقل ، و انما الغرض اظهار ان هذا الكتاب حق ، و ان الرسول الذي جاء به ، رسول صادق ، و هكنا سائر معجزات

= ١ = سورة حم السجدة الاية ٢٦ .

= ٢ = سورة المائدة الاية ٣١ .

= ٣ = مباحث في علوم القرآن ص ١٢٦ .

= ٤ = مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/٢٢٧ .

الانبياء الكرام التي يعجز البشر عنها ليس الغرض منها الاظهار صدقهم واثبات ان ما جاؤوا به انما هو يوحى من الحكيم العليم ، و تنزيل من الله القادر ، وانهم انما يبلغون رسالات الله ، و ليس لهم الا الاخبار و التبليغ ، فالمعجزات اذا براهين من الله سبحانه الى عباده ، يصدق رسله و انبياءه ، فكان الله تعالى بواسطة هذه المعجزة يقول : صدق عبدى فيما بلغ عنى و انا ارسلته ليبلغكم ذلك ، و الدليل على صدقة ان اجرى على يديه خوارق العادات مما لا يستطيع احد منكم ان ياتى بمثله ، و مما ليس بمقدور احد من الناس ان يجاريه في مثل هذا الامر العجيب ، ذلك هو معنى الاعجاز و ذلك هو مفهوم المعجزة " ١٠ و في ذلك الشيخ الزرقانى ذكر في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن قال رحمه الله في بحث تعريف المعجزة : " المعجزة هي امر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الاتيان بمثله او هي امر خارق للعادة خارج عن حدود الاسباب المعروفة ، يخلقه الله تعالى على يد مدعى النبوة ، عند دعواه اياها ، شاهدا على صدقه ، فاذا قام انسان ما ، و ادّعى انه من الله تعالى الى خلقه و رسله الى عباده و قال ان آية صدقى فيما ادّعى ان يفر الله الذى ارسلنى عادة من عادته ، على يدى ، و ان يخرج الان عن سنة مسن سننه العامة في وجوده ، ثم قال : و سياً تيكم الله بهذا الامر العجائب من باب ترون انكم فيه نابغون ، و عليه قادرون ، و اني اتحد اكم زرافات و وحدا ان تاتوا بمثل هذه الآلية ، و اماكم الباب مفتوحا كما تعتقدون و فيكم النبوغ موفورا كما تدعون ، ثم انتم مجتمعون و انا على عقائدنا و عاداتنا و اخلاقنا ، و يسفه فيه احلامنا و احلام امثالنا من ابائنا ، و نحن احرص ما نكون على تعجيزه و الغلبة عليه و الظفر به ، دفاعا عن كرامتنا و انتصارا لأعز شئى لدينا ، ثم لم يلبث ان قام و قمننا ، و اجمع امره و اجمعنا

واذا نحن جميعا بعد محاولات ومحاولات ، لم نستطع ان نأتى بمثل ما اتى به ، فضلا عن اعظم منه ، مع اننا امة وهو فرد ، ومع انه قد دخل علينا من ايسر الطرق في نظرنا و من اشهر فن في زماننا ، ومع انه قد اعطانا الفرصة الكافية لمناظرته ، وانصفنا كل انصاف من نفسه .

هل يشك ذو مسكة من عقل ، في ان هذا الانسان المتفوق الممتاز صادق في رسالته ، محق في دعايته ، خصوصا اذا عرفنا فوق ذلك كله ، انه نشأ فينا على الصدق والامانة و مكارم الاخلاق ، من لدن صباه و طفولته الى يوم مبعثه و رسالته ، لو انه جاء بالمعجزة من باب لا نعرفه ، لقلنا رجل حنق فنا من الفنون التي لا علم لنا بها ، او تعلم صناعة من صناعات التي نخط بخبرها ، اما وقد جاءنا من الناحية التي نشهد لانفسنا فيها بالفوق والسبق ، فلايسعنا الا الانعان له ، والايان بما جاء به ، ما د منا منصفين " ١ .

فظهر لنا ان معنى الاعجاز القرآن بحيث كان لهم التحدي بالقرآن وحده ، ولهذا كان القرآن معجزة الرسول التي تؤيد رسالته ، و رسالته النبي صلى الله عليه و سلم شاملة خالدة لانه خاتمة الرسالات فكانت الحكمة ان تتفق معجزته مع نوع رسالته ، اذ كل نبي سبق كان يأتي برسالة القوم باعيانهم و تنتهي بما يأتي بعدها من الرسالات و لم يكن من الممكن ان تكون معجزة خاتم الانبياء امرا حيا يراه جماعة حين يقع ، فاذا لحق الرسول بالرفيق للاعلى انقضى ذلك الامر المحسوس ولا يراه احد من بعده ، لان الامور المحسوسة لا تتفق مع نوع هذه الرسالة و لا مع خلودها ، لقد كان القرآن معجزة للناس جميعا ، و لذلك جاء من نوع آخر غير نوع المعجزات السابقة *

حقيقة الاعجاز

ان القرآن الكريم هو الكتاب المقدس المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم و باعتباره كتاب الدين الذى هو خاتم الاديان ، و ان الغاية منه هو هداية البشر كافة و تعريفهم الحق فيما يختلفون فيه ، يجب ان يكون قد احتوى حقيقة الاعجاز الذى هو دال على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، و بحيث الناحية حينما نطالع ونخوض في هذا الموضوع ، فيظهر لنا ان الاعجاز قد يتحقق بامور ثلاثة :

الاول : التحدى

ان النبى صلى الله عليه وسلم تحدى به العرب الى ان ياتو بمثله ، هذا هو القرآن الذى يأتى به نبى امى ، لا يعرف القراءة و الكتابة ، و لم يد رس فى مدرسة ولم يثبت عنه انه كان قد تلقى شيئا من العلوم و المعارف عن بعض اساطين الفصحاء والعلماء من العرب او غيرهم ، جاء النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الكتاب متحديا لهم ، وهم ائمة الفصاحة و البلاغة و طلب منهم معارضة القرآن على مراحل ثلاث .

الاول : تحداهم بالقرآن كله فى اسلوب عام ، يتناولهم و يتناول غيرهم من الانس و الجن و لجميع الخلائق بما فيهم الحكماء و العلماء و العباقرة ، و جاء لجميع البشر بدون استثناء ، عربهم و عجمهم ابيضهم و اسودهم ، مؤمنهم و كافرهم تحديا بقوله تعالى " قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " ١ .

الثانى : - تحداهم بعشر سور منه فى قوله تعالى : " ام يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطقت من دون الله ان كنتم صادقين ، فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله و ان لا اله الا هو ، فهل انتم مسلمون " ٢

= ١ = سورة بنى اسرائيل الاية ٨٨ .

= ٢ = سورة هود الاية ١٤٦ .

الثالث :- تحداهم بسورة واحدة منه في قوله تعالى : " ام يقولون افتراه فل فاتوا بسورة مثله " ١٠ كما وردت التحدى باقل من ذلك تحداهم بسورة واحدة من اقصر سور القرآن ، وجاء هذا التحدى مقرونا بالتعجيز في الحاضر والمستقبل ، مسجلا عليهم ذلك العجز بقوله تعالى : " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وابعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا و لن تفعلوا " ٢٠ قال العلامة القرطبي في تفسيره (الجامع لاحكام القرآن) قوله : فان لم تفعلوا "يعنى فيما مضى ، و لن تفعلوا " اى تطبيقوا ذلك فيما ياتى و فيه اثاره لهمهم ، و تحريك لنفوسهم ، ليكون عجزهم بعد ذلك ابدع ، و هذا من الغيوب التى اخبر بها القرآن قبل وقوعها " ٣٠

الثانى :- ان يكون اسباب و دوافع رد التحدى قائما و موجودا . وهو قيام المقتضى للمباراة و المعارضة عند العرب فقد كان موجودا وقائما فان النبى صلى الله عليه و سلم جاءهم بدین جديد ، ابطال دينهم ، و سخر من آلهتهم و اصنامهم ، و سفه احلامهم و دعاهم الى اتباعه و الى اعتقاد انه رسول من عند الله . و قال لهم : ان الحجة على صدقى هذا الكتاب الذى اوحاه الله الى ، فاذا لم تصدقونى في ذلك فانا اتحداكم ان تأتوا بمثله او بمثل سورة منه ، و انا عجزتم فذلك اية صدقى و بيهان رسالتى اليكم ، فما كان احوجهم الى ان ياتوا بمثله خاصة بعد هذا التحدى ، و ما كان احوجهم الى دحض ما ادعاه ، و ابطال انه من عند الله ، و ذلك بسلوك ايسر الطرق وولوج اقربا لبواب لرد دعواه ، و ذلك عن طريق فابرعو فيه و اشتهروا بجودته

= ١ = سورة يونس الآية ٣٨ .

= ٢ = سورة البقرة الآية ٢٣ .

= ٣ = تفسير القرطبي ٢/ ٣٢٠ .

و اتقانه مآلا وهو البيان في النطق و (الفصاحة) في اللسان ، و كان ذلك انفع لهم
من الحرب التي ناقوا ويلاتها ، و خاضوا غمارها ، و لكنهم اختاروا طعن الرماح ، و وقع
النبال و لم يدخلوا في المباراة " ١ .

حاول الكفار ان يقلدوا القرآن الكريم و لكنهم عجزوا عن الاتيان بمثله
فطلبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم عن سير الانبياء و المتقدمين اذا
كان صادقا في نبوته ، و لقد أرادوا بذلك تعجيزه فأخبرهم بالقص المتسلسلة عن سير
الانبياء و المرسلين بعضها فيه ايجاز ، و البعض الآخر فيه اطناب ، نهل الكفار و بهتوا
و نكصوا على اعقابهم خاسرين امام هذه الفصاحة و البلاغة حتى ان كثيرا منهم اعلن
اسلامه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حاول كفار قريش ان ينالوا من القرآن
الكريم فقالوا : انه ليس من عند الله بل هو كلام انسان عادى و استدعوا الشعراء و
البلغاء و الادباء و العلماء لكي يضاهاوا القرآن الكريم فوقفوا امامه عاجزين ، و لم
يستطيعوا تحديده او الاتيان بمثله .

يذكر التاريخ ان مسيلمة الكذاب ، زعم انه اوحى اليه بكلام كالقرآن
ثم طلع على الناس بهذا العذر : انا اعطيناك الجواهر ، فصل لربك و جاهر ، و بهـذا
السخر ، و الطاحات طحنا ، العاجنات عجننا ، و الخابزات خبزنا " و انتم تعرفون بان
مثل ذلك الاسفاف ليس من المعارضة في قليل و لا كثير ، و اين محاكاة الببغاء * من
فصاحة الانسان ، و اين هذه الكلمات السوقية الركيكة ، من الفاظ القرآن الرفيعة ومعانيه
الرفيعة العالية ، و هل المعارضة الا الاتيان بمثل الاصل في لغته و اسلوبه و معانيه
أو بارقى منه في ذلك " ٢ .

= ١ = التبيان في علوم القرآن ص ٩٦ .

= ٢ = مناهل العرفان في علوم القرآن ٢ / ٣٣٠ .

وايضا يروي التاريخ ان ابا العلا المعري و ابا الطيب المتنبي وابن المقفع ، حدثهم نفوسهم مرة ان يعارضوا القرآن ، فما كادوا يبدعون هذه المحاولة حتى انتهوا منها بتكسير اقلامهم و تمزيق صحفهم لانهم لمسوا بانفسهم و عورة الطريق و استحالة المحاولة واكبر ظني و ظن الكاتبيين من قبلي ، انهم كانوا يعتقدون من اعماق قلوبهم بلاغة القرآن و اعجازه من اول الامر ، و انما أرادوا ان يضمو دليلا جديدا الى الديهم من اولسه ذاقوها بحاستهم البيانية من باب ، ان لم يتذوق امثال هؤلاء بلاغة القرآن و اعجازه فمن غيرهم " ١ .

الثالث : - ان يكون المانع منتقيا

و هو انتفاء ما يمنعهم من معارضة القرآن ، فلانه نزل بلسان عربي مبين هو لسانهم ، و الفاظه من احرف العرب ، و عبارته على اسلوب العرب و هم اهل البيان و اللسان ، و امراء الفصاحة و البلاغة ، و فيهم نوابغ الشعراء ، و مصاقع الخطباء و هم في نهضة لغوية شاملة ، و كانوا يتنافسون على الفصاحة و البلاغة و يتفاخرون بينهم ، و قد دلت اشعارهم و نطق خطبهم و حكمهم على براعتهم في ذلك الميدان ، و انهم من ذوى القدرة و الاستطاعة على ان يبرزوا في الشعر و النثر ، و ان لفظة القرآن العربي هم لغتهم الاساسية التي يتفاخرون بها و يتبارون و يجتمعون في المحافل ليستمعوا اروع القصائد و الخطب ، و يصوغوا اجمل الالفاظ و العبارات ، و لم يكونوا في عجز من قدرتهم او نقص في عقولهم ، بل كانت قدرتهم موفورة و استطاعتهم مشهورة و مع كل ذلك فالقرآن دعاهم ان يستعينوا بمن شاءوا ، و لكن مع قدرته التامة هم لم يستطيعوا ان يأثروا بمثل هذا القرآن ، فلما عجزوا دل على انه تنزيل من رب العالمين ، و كفى بذلك دليلا و برهانا قاطعة .

وجوه اعجاز القرآن الكريم

اجمع العلماء على اعجاز القرآن بذاته ، وعلى عدم استطاعة احد من البشر والجن الاتيان بمثله ، ولكن اختلف آراؤهم في وجه اعجازه ، يرى بعضهم ان وجه الاعجاز في فصاحة الفاظه و بلاغة عبارته ، اذ هو في الدرجة العليا من البلاغة التي وصلت الى مرتبة لم يعهد لها مثيل ، يرى بعضهم ان وجه الاعجاز في القرآن في تضمنه البديع الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم ، ويقولون آخرون ، بل اعجازه في الاخبار عن الغيبات المستقلة التي لا يطلع عليها الا بالوحي او الاخبار عن الامور التي تقدمت منذ بدء الخلق بما لا يمكن صدوره من امي لم يتصل باهل الكتاب . و ذهب جماعة الى ان القرآن معجز لما تضمنه من العلوم المختلفة والحكم البديعة ، و يرى آخرون ان الاعجاز في خلوه من التناقض و اشتماله على المعاني الدقيقة .

و هناك وجوه اخرى للاعجاز جمعها بعضهم في عشر او اكثر ، ذكر العلامة القرطبي في تفسيره المسمى (الجامع لاحكام القرآن) عشرة وجوه لاعجاز القرآن ، كما ذكر الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) اربعة عشر وجها من وجوه الاعجاز . و نحن نذكر هنا وجوه اعجاز القرآن بالتفصيل .

الوجه الاول : الاسلوب المعجيب

ان القرآن جاء باسلوب الرائع الخلاب ، الذي اشتمل على تلك الخصائص العليا التي بهر العرب برونقه و جماله و عذوبته و حلاوته ، و قد كانت فيه من الخصائص العليا ما لم توجد في كلام بشر على نحو ما وجدت في القرآن ، و كل ما كان في هذا القبيل فهو لا شك معجز ، خصوصا ان النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به ، فاعجز اساطين الفصحاء واعيا مقاولي البلغاء ، و اخرس السنة فحول البيان من اهل صناعة اللسان ، و ذلك في عصر كانت القوى فيه قد توافرت على الاجادة و التبريز في هذا الميدان ، و في امة كانت مواهبها محشودة للتفوق في هذه الناحية ، يقول الزرقاني : " وها قد مرت على اللغة

العربية من عهد نزول القرآن الى عصرنا هذا ادوار مختلفة بين علو و نزول و اتساع و انقباض ، و حركة و جمود ، و حضارة و بدائة ، و القرآن في كل هذه الادوار واقف في عليائه ، يطل على الجميع من سمائه ، و هو يشع نورا و هداية ، و يفيض عذوبة و جلالة ، و يسيل رقة و جزالة ، و يرفجدة و طلاوة ، و لا يزال كما كان غضا طريا يحمل رأيه الاعجاز و يتحدى امم العالم في يقين و ثقة قائلا في صراحة الحق و قوته و سلطان الاعجاز و صولته " ١ .

الوجه الثاني : العلوم و المعارف

ان القرآن قد اشتمل على علوم و معارف في هداية الخلق الى الصراط المستقيم جاء القرآن بالعلوم المتنوعة و المعارف المتعددة في العقائد ، و العبادات و التشريع و التنظيم ، و في الاخلاق و المعاملات ، و في التربية و التعليم و في السياسة و الاقتصاد ، و في الفلسفة و الاجتماع ، و كذلك في القصص و الاخبار ، و لا شك ان هذا الوجه من اظهر وجوه الاعجاز القرآن ، فكيف رجل امي يستطيع ان ياتي بمثل ما في القرآن من هذه العلوم و المعارف تحقيقا و كمالا ، مؤيدا بالبراهين بعد ان قضى معظم حياته لا يعرف شيئا عنها و لم يقرأ و لم يكتب و لم ينشأ في بلد علم و تشريع . محمد على الصابوني يقول : هذه العلوم و المعارف التي زخر بها القرآن الكريم ، و التي بلغت من ناعة البرهان و قوة الحجة مبلغا يستحيل على محمد صلى الله عليه وسلم و هو رجل امي نشأ بين الاميين ، ان ياتي بها من نفسه بل يستحيل على اهل الارض جميعا من ادباء و علماء و فلاسفة و حكماء ، و من مشرعين و عباقرة ان يأتوا بمثل هذه العلوم و المعارف ، وفي هذا الوجه من وجوه اعجاز القرآن حجة دامغة و برهان ساطع ، يقصم ظهر كل افك معاند ، يزعم ان ما جاء به محمد ان هو الا (تعاليم الكتب السابقة) استمدها محمد من بعض اهل الكتاب في عصره ثم نسبها الى ربه ليستمد من هذه النسبة قدسييتها (كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذا) .

و نحن نقول لهؤ لاء العمى : كيف يكون القرآن نسخة عن الكتب السابقة

و قد جاء منكرها على اهلها ، مخالفا لاكثرها ، بل جاء مبطلا و هادما لاصول افكارها و عقائدها بسبب ما دخل فيها من تحريف و تبديل ، و كيف يمكن ان تتفق عقيدة (التوحيد) مع عقيدة (التثليث) و بينهما كما بين السماء و الارض ، الم يسمعون الحكم القاطع الجازم فيهم بانهم كفرة فجرة يعيدون احبارهم و رهبانهم من دون الله ، " و قالت اليهود عزيز ابن الله و قالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله انى يؤفكون ، اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله و المسيح ابن مريم ، و ما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " ١ .

الوجه الثالث : وفاءه بحاجات البشر .

و معنى هذا ان القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة شاملة واسعة تفى بحاجات البشر في كل زمان و مكان ، و هذا الوجه من وجوه الاعجاز ظاهر جلى ، يدركه كل متأمل في شريعة الاسلام .

و يتجلى لك هذا اذا استعرضت المقاصد النبيلة التى رعى اليها القرآن

في هدايته و ارشاده ، وهى كما بين الزرقانى :

اولا : اصلاح العقائد عن طريق ارشاد الخلق الى حقائق المبدأ و المعاد و ما بينهما

تحت عنوان الايمان بالله تعالى و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر ،

ثانيا : اصلاح العبادات عن طريق ارشاد الخلق الى ما يزكى النفوس و يغذى الارواح

و يقوم الارادة و يفيد الفرد و المجموع منها .

ثالثا : اصلاح الاخلاق عن طريق ارشاد الخلق الى فضائلها و تنفيرهم من رذائلها

في قصد واعتدال وعند حد وسط لا افراط فيه ولا تفريط .

رابعاً : اصلاح الاجتماع عن طريق ارشاد الخلق الى توحيد صفوفهم و محو العصبية و ازالة الفوارق التي تباعد بينهم ، و ذلك باشعارهم انهم من جنس واحد من نفس واحدة و من عائلة واحدة ، ابوهم ادم و امهم حواء و انه لا فضل لشعب على شعب و لا لاهل على احد الا بالتقوى ، و انهم متساوون امام الله ودينه و تشريعه متكافئون في الاضيئة و في الحقوق من غير امتيازات ، و ان الاسلام عقد اخاء بينهم اقوى من اخاء النسب و العصب ، و ان لسانهم العام هو لسان هذا الدين و لسان كتابه ، و انهم امة واحدة يؤلف بينها المبدء و لا تفرقها الحدود الاقليمية و لا الفواصل السياسية و الوضعية ، " و ان هذه امة واحدة و انا ربكم فاتقون " ١ .

خامساً : اصلاح السياسة او الحكم الدولي ، عن طريق تقرير العدل المطلق و المساواة بين الناس و مراعاة الفضل في الاحكام و المعاملات من الحق و العدل و الوفاء بالعهود و الرحمة و المواساة و المحبة و اجتناب الرذائل من الظلم و الغدر و نقض العهود و الكذب و الخيانة و الغش و اكل اموال الناس بالباطل كالرشوة و الربا و التجارة بالدين و الخرافات .

سادساً : - الاصلاح العالي عن طريق الدعوة الى الاقتصاد و حماية المال من التلغف و الضياع و وجوب انفاقه في وجوه البر و اداء الحقوق الخاصة و العامة و السعى المشروع .
سابعاً : - الاصلاح النسائي عن طريق حماية المرأة و احترامها و اعطائها جميع الحقوق الانسانية و الدينية و المدنية .

ثامناً : - الاصلاح الحربى عن طريق تهذيب الحرب و وضعها على قواعد سليمة لخير الانسانية في مبدئها و غايتها ، و وجوب التزام الرحمة فيها ، و الوفاء بمعاهدتها و ايثار السلم عليها

تاسعاً :- محاربة الاسترقاق في المستقبل و تحرير الرقيق الموجود بطرق شتى ،
منها الترغيب العظيم في تحرير الرقاب ، وجعله كفارة للقتل وللظهار ولإفساد الصيام
بطريقة فاحشة ، ولليمين الحائثة ، ولا يذأء المملوك باللطم او الضرب .

عاشراً :- تحرير العقول و الافكار ، و منع الاكراه و الاضطهاد و السيطرة الدينية
القائمة على الاستبداد و الفطرة ، و الدليل على هذا الوجه من اعجاز القرآن ، ان
غير المسلمين كانوا و لا يزالون حائرين يبحثون عن النور ، و ينقبون عما يفي بحاجتهم
في كثير من نواحي حياتهم ، حتى اضطروا تحت ضغط هذه الحاجة و بعد طول المطاف و قسوة
التجارب ان يرجعوا الى هداية القرآن من حيث يشعرون او لا يشعرون و اليك شواهد على
ذلك ، " امريكا حرمت الخمر اخيراً و لكنها فشلت و لم تنجح لانها لم توفق الى
الطريقة الحكيمة التي اتبعها الاسلام في تحريم الخمر .

٢٠ امريكا اباحت الطلاق ، و ان كانت قد اسرفت فيه الى درجة ضارة .

٣٠ اسبانيا اصدرت حكومتها قانوناً بمنع البغاء الرسمي في بلادها و بمنع النساء
من البروز على الشواطىء في ثياب الاستحمام

٤٠ مصلحوا اوربة يرفعون اصواتهم بضرورة الرجوع الى مبدأ تعدد الزوجات ، حتى بعض
نساءهن طالبن بهذا .

٥٠ اليهود يطالبون ايضاً متعدد الزوجات و قد تزعم هذه الحركة يهودى اسمه مورشمه
ليكفرمان ، و برهن على ان ذلك من احكام الدين اليهودى ، و طلب الى اليهود الغناء
قرار الحاخام غرشون الذى تعدى حدود الدين اليهودى بابطاله الزواج باكثر من واحدة
و اصبح له اتباع كثيرون " ١ .

الوجه الرابع :- الاخبار عن الغيبات التي لا تعرف الا بالوحي .
و معنى هذا ان القرآن قد اشتمل على اخبار كثيرة من الغيوب و ذلك برهان واضح و دليل قاطع على ان هذا القرآن ليس من كلام بشر ، انما هو كلام علام الغيوب و قيوم الوجود الذي يملك زمام العالم و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، و يعلم ما في البر و البحر و لا تخفى عليه خافية ، و لو كان من صنع محمد - كما زعموا - لظهرت علائم الوضع في تلك الاخبار الغيبة ، بوقوعها على خلاف ما اخبر .
غيب الماضي :- ان اخبار غيوب الماضي في القرآن يوجد بكثرة كاثرة ، تتمثل في تلك القصص الرائعة التي يفيض بها التنزيل منها قصة نوح التي قال الله تعالى فيها " تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها انت و لا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين " ١ . و منها قصة موسى التي يقول الله فيها : " و ما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر ، و ما كنت من الشاهدين ، و لكننا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، و ما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا و لكننا كنا مرسلين " ٢ .
و منها قصة مريم و فيها قال الله تعالى : " ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ، و ما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم ، و ما كنت لديهم اذ يختصمون " ٣ .
غيب الحاضر :- اما غيب الحاضر فهو ما يتصل بالله تعالى و الملائكة و الجن و نحو ذلك ، بما لم للرسول سبيل الى رؤيته و لا العلم به ، فضلا عن ان يتحدث عنه على هذا الوجه الواضح ، الذي ايد به الانبياء و امثال هذا النوع كثيرة في القرآن .

= ١ = سورة هود الآية ٤٩ .

= ٢ = سورة القصص الاية ٤٤، ٤٥

= ٣ = سورة آل عمران الاية ٤٤ ،

ومنه ايضا (غيب الحاضر) ما فضح الله به المنا فقين فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم مما كان قاتما بهم وخفى امره عليه كقوله : ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو الد الخمام ، واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها . ويهلك الجرح والنسل ، والله لا يحب الفساد ، ١٤ وكقوله فى مسجد الضرار الذى بناه المنافقون : والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارماذا لمن جار باله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد انهم لكاذبون ٢٠ .

غيب المستقبل : واما غيب المستقبل فى القرآن فكثيرة ، فنمثل له بامثلة

وبايات القرآن .

المثال الاول : اخبار القرآن عن الحرب التى ستقع بين الروم والفرس ، وستكون الغلبة فيها للروم بعد ان انكسروا فى الحرب السابقة وذلك فى قوله تعالى : **الهم** ، غلبنا الروم ، فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلبون ، فى بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولاكن اكثر الناس لا يعلمون ٣ .

المثال الثانى : اخبار القرآن بان الله عاصم رسوله وحافظه من الناس ، وذلك فى قوله تعالى : **والله يعضمك من الناس** ، ولقد ثبتت نفيوة القرآن هذه ، ولم يستطع احد من اعداء الرسول ان يقتله ، مع كثرة عدوهم ، ووفرة استعدادهم ومع انهم كانوا يتربصون به الدوائر ، كما يقول الزرقانى ٢٢ **فمن لذى يملك هذا الوعد وتنفيذه اذن الا الله الذى يغلب ولا يغلبه** ، والذى لا يقف شىء فى سبيل تنقيذ مراده (وهو القاهر فوق عباده) وان لم تصدقنى فسل عن التاريخ والمؤرخين ، كم من الملوك والامراء والفراعين ضرجت الارض بدما نهم وهم بين جنودهم وخدمهم ٤ .

= ١ = سورة البقرة " الايه ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

= ٢ = سورة التوبة " الايه ١٠٢ ،

= ٣ = سورة الروم " الايه ١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

= ٤ = مناهل العرفان فى علوم القرآن ٢ / ٣٦٧ .

المثال الثالث : ما جاء في التحدى بالقرآن من قوله : فان لم تفعلوا ولن تفعلوا " ١٠٦ .
وقوله تعالى : قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " ٢٠ .

فقد تحققت نبوءة القرآن هذه ، و لا تزال متحققة حيث لم يستطيع احد من
الانس والجن ان يأتى باقصر سور منه ، و لم يستطيعوا المعارضة الى اليوم ، مع وجود
اعداء الاسلام في هذه العصور المتأخرة ، اكثر و اقوى و احرص على هدم بنا
هذا الدين الحنيف من اولئك الاعداء الاولين .

المثال الرابع : - ما جاء من اخبار مستقبل الاسلام و نجاحه نجاحا باهرا ، فقد
اخبار القرآن بان الاسلام سيظهر و يبقى ، و ان كتابه سيكتب له الحفظ و الخلود ، و ذلك
الوقت ان المسلمين في مكة قليل مستضعفون في الارض يخافون ان يتخطفهم الناس ، و فى
ذلك قوله تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون " ٣٠ . ويقول الزرقانى :
وما يؤيد صدق هذه التنبؤات ان الاسلام لقي من ضروب العنت مرارا و تكرارا ، فى ازمان
متطاولة و عهود مختلفة ، ما كان بعضه كافيا في محوه و زواله ، و لكنه على رغم انفس
هذه الاعاصير العاتية ، بقى ثابتا يسامى الجبال ، شامخا يطاول السماء ، و كذلك
لقى كتابه العزيز و لا يزال يلقي من الهمز و اللمز و الطعن و السباب و المحاولات القاتلة
ما لا يتصوره انسان فى اى زمان ، و ما لم يلحق كتاب قبله من الكيد و التضليل و البهتان
و مع ذلك كله فالقرآن هو القرآن ، لا يزال جالسا على عرشه فى سمائه يمد العالم كله

= ١ = سورة البقرة الآية ٢٤ .

= ٢ = سورة بنى اسرائيل الآية ٨٨ .

= ٣ = سورة الحجر الآية ٩ .

بحرارته و ضيائه ، و لم تنل منه هذه المحاولات الا كما ينال نباح الكلاب من عاليات السحاب " ٢٠ .

المثال الخامس : - اخبار القرآن بان الرسول و اصحابه و قد كانوا بالمدينة سيدخلون مكة آمنين محلقين رؤوسهم و مقصرين ، اذ قال الله تعالى : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ، محلقين رؤوسكم و مقصرين لا تخافون " ١٠ . ثم وقع هذا كما اخبر مع ان ظروفه و احواله لم تكن تسمح به في مجرى العادة فدل ذلك على ان هذا القرآن لا يمكن ان يكون كلام محمد و لا مخلوق سواه ، بل هو كلام الله تعالى .

المثال السادس : - تحدى القرآن لأعداء الله اليهود في شئ يظهر انه سهل بسيط و هم يستطيعون عليه ، و لكنهم انصرفوا عنه و عجزوا ، فدل هذا التحدى مع الانصراف و العجز ، على ان القرآن كلام من يستطيع تصريف القلوب ، و هو الله احد ، اما محمد فحال ان يتحدى بهذا الامر الظاهرة سهولته ، و هو بشر لا يعلم الغيب و لا يستطيع ان يقلب القلوب و لا ان يعقد الالسنه .

المثال السابع : - اخبار القرآن عن احداث ، تقع في المستقبل لشخص معين ، ثم ثبت الامر كما اخبر القرآن ، و في ذلك يقول الزرقاني رحمه الله : - "وهو من عجائب هذا الباب ان القرآن عرض لتعيين بعض احداث جزئية ، تقع في المستقبل لشخص معين ، ثم تحقق الامر كما اخبر ، هذا هو الوليد ابن المغيرة المخزومي يقول الله فيه : " سنسمه على الخرطوم " اى سنجعل له علاقة على انفه يعرف بها و قد كان فى غزوة بدر الكبرى خطم ذلك الرجل بالسيف اى حذب به انفه ، وبقى اثر هذه الضربة سمة فيه و علاقة له ، ولعلك

لم تنس ان الوليد هو الذى نزل فيه " ذرني و من خلقت وحيدا " ١٠ و ما بعدها من الايات الذى نزلت فيه هنا هذه الايات من سورة القلم " و لا تطع كل حلاف مهين همار مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، ان كان ذا مال و بنين ، اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم " ٢٠ نعوذ به تعالى من الكفر و العناد و سوء الاخلاق و نسأله الايمان الكامل و العمل الصالح و الخلق الفاضل " ٣٠

الوجه الخامس :- تاثير القرآن في قلوب الاتباع و الاعداء و من وجوه اعجاز القرآن بلغ في تاثيره و نجاحه مبلغا خرق به العادة هذا هو التاثير البالغ الذى احدثه في قلوب اتباعه و اعدائه ، حتى لقد بلغ من شدة التاثير ، ان المشركين انفسهم كانوا يخرجون في الليل و يستمعون الى تلاوة القرآن من المسلمين ، مع ذلك تواصلوا فيما بينهم الا يستمعوا القرآن ، و ان يرفعوا اصواتهم بالضجيج حينما يتلوه محمد لئلا يؤمن به الناس " و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون " ٤٠

تاثيره في اعدائه :

لقد بلغ من تاثير القرآن في قلوب اعداء المسلمين ، ان هؤلاء اعداء المسلمين مع حربهم له ، و نفورهم مما جاء به كانوا يخرجون في الليل و يستمعون القرآن و المسلمون يتلونهم في بيوتهم فعل ذاك الا لانه استولى على مشاعرهم ، و فى ذلك يقول محمد على الصايونى : " و لقد بلغ من تاثير القرآن في القلوب ان يفى الى ظلاله اشدد الناس عداوة له و اعظمهم عنادا ، فيسلم كثير من هؤلاء الزعماء و على رأسهم عمر بن

-
- ١ = سورة الم نشر الآية ١١ .
٢ = سورة القلم الآية ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ .
٣ = سورة هم السجدة الآية ٢٦ .
٤ = مناهل العرفان في علوم القرآن ٢٣٧/٢

الخطاب) و(سعد بن معاذ) و(اسيد بن حضير) وغيرهم من القادة و الرؤساء ، هذا هو عمر بن الخطاب الذي يبلغ من شدة قسوته على المسلمين ان يقول فيه احدهم (والله لن يسلم حتى يسلم حمارا لخطاب) والذي يبلغ من شدة عداؤه ان يتقلد سيفه بالظهير ة ثم يخرج ليفتش عن محمد ليقتله ثم لا ياتي المساء الا وقد رجع معتنقا للاسلام بسبب بضع آيات سمعها في بيت اخته من (سعيد بن زيد) والقصة مشهورة " ١ • تروى كتب السيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مكة قبل الهجرة ، ارسل مع اهل المدينة الذين جاؤوا و بايعوه ببيعة العقبة ، مبعوثين جليلين ، يعلموا نهج الاسلام و ينشرانه في المدينة ، هما مصعب بن عمير و عبد الله بن ام مكتوم رضى الله عنهما و قد نجح هذا ن في مهمتهما اكبر نجاح ، و احداثا في المدينة ثورة فكرية او حركة تبشيرية جزع لها سعد بن معاذ سيد قبيلة الاوس ، حتى قال لابن اخيه اسيد بن حضير ألا تنهب الى هذين اللذين اتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما ، فلما انتهى اليهما اسيد قال لهما : ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا ثم هددهما ، و قال ، اعتزلا ان كانت لكما فى انفسكما حاجة ، رضى الله عن مصعب ، فقد تغاضى عن هذا التهديد و قال لاسيد فى وقار المؤمن و ثباته او تجلس فتسمع ، فان رضيت امرا قبلته ، و ان كرهته كففتنا عنك ما تكره ، ثم قرأ مصعب القرآن و اسيد يسمع ، فلما قام من مجلسه حتى اسلم ، ثم كرراجعا الى سعد فقال له : و الله ما رأيت بالرجلين بأسا ، فغضب سعد و ذهب هو و نفسه ثائرا فما استقبله مصعب بما استقبل به اسيد و انتهى الامر باسلامه ايضا ، ثم كرراجعا فجمع قبيلته و قال لهم ما تعدوننى فيكم ، قالوا سيدنا و ابن سيدنا ، فقال سعد كلام رجالكم و نساءكم على حرام حتى تسلموا ، فاسلموا اجمعين " ٢ •

= ١ = التبيان في علوم القرآن ص ١٤٤ •

= ٢ = مناهل العرفان في علوم القرآن ٢ / ٣٠٥

، هكذا كان تأثير القرآن في نفوس الاولياء تأثيرا بالغاً ، وهم يتنافسون في حفظه و قرائته في الصلاة و في غير الصلاة ، حتى لقد طالب لهم ان يهجروا لذة النوم من اجل قراءة القرآن في صلاة الليل ، و كان التفاضل بينهم بقدر ما يحفظ احدهم من القرآن ، و كانت المرأة ترضى بل تعبط ان يكون مهرها سورة يعلمها اياها زوجها من القرآن اذكروا قصة (الوليد بن المغيرة) و (عتبة بن ربيعة) و غيرها ممن تأثروا بالقرآن و لو لاحب الجاه و المال لدخلوا جميعا في دين الله افواجا ، و لكن الهداية بيد الله تعالى يضل من يشاء و يهدي من يشاء و هو اعلم بالمهتدين .

ذكر صاحب تفسير المنار ان فيلسوفا من فلاسفة فرنسا ، الف كتابا رد فيه ما زعمه نعاة النصرانية من ان محمدا لم يات بآية على نبوته كآيات موسى و عيسى عليهما السلام ، ولم يكن له من الايات الخوارق ما كان لمن قبله ، فقال ذلك الفيلسوف : ان محمدا كان يقرأ القرآن خائفا متألها و متضرعا فتفعل قرائته في جذب الناس الى الايمان به فوق ما كانت تفعله جميع آيات الانبياء السابقين " ١ .

الوجه السادس : - عدم التعارض مع العلوم الكونية . و من وجوه اعجاز القرآن تلك الاشارات الواضحة الدقيقة الى بعض العلوم الكونية ، التي سبق ان يكتشفها العلم الحديث ، ثم عدم تعارضه مع ما يكشف العلم من نظريات علمية حديثة وفي ذلك يقول الله تعالى " سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، او لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد " ٢ .

و قد اشار الصابوني الى هذه الناحية من نواحي الاعجاز اذ يقول : " ان اعتقادنا بان القرآن العظيم ليس كتاب طبيعة او هنسة ، و انما هو كتاب (هداية وارشاد) و كتاب (تشريع و اصلاح) و لكن مع ذلك لم تخل آياته من الاشارات الدقيقة ، والحقائق

الخفية الى بعض مسائل الطبيعية و الجغرافية ، مما يدل على اعجاز القرآن وكونه وحيا من عند الله ، فمن المقطوع به ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب و انه نشأ في بيته بعيدة عن مظاهر الحضارة حيث لم تكن علوم ولا معارف ولا مدارس تقرأ فيها العلوم الكونية ، لان قومه و عشيرته كانوا (اميين) ، و مع ذلك لحسان النظريات العلمية التي اشار اليها القرآن لم تكن معلومة في عصره ، و لم يكشف العلم اسرارها ، الا منذر من قريب ، و ذلك من اصدق البراهين على ان هذا القرآن ليس من تاليف محمد - كما يزعم بعض المستشرقين " ١ .

الوجه السابع : - الوفاء بالوعد .

و من وجوه اعجاز القرآن اثبات بكل ما اخبر عنه القرآن من وعد و وعيد و بكل ما وعد الله عباده ربه ، كما وعد الله تعالى بنصر رسوله و اخراج الذين اخرجوه من وطنه ، و نصر المؤمنين على الكافرين ، و قد ثبت ذلك كله قال الله تعالى في سورة فتح " انا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تاخر ، و يتم نعمته عليك و يهديك صراطا مستقيما ، و ينصرك الله نصرا عزيزا " ٢ . و قد تحقق هذا النصر بفتح مكة ، و بدخول الناس في الاسلام و بذلك تمت النعمة على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، و اقر الله عينه بنصره على اعدائه ٣ اذ جاء نصر الله و الفتح و رأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك و استغفره ، انه كان توابا " ٣ . و صدق الله وعده بنصرته لانبياؤه و اوليائه اذ قال : انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا و يقومون الاشهاد " ٤ . و من الوعد قوله تعالى " و كان حقا

= ١ = التبيان في علوم القرآن ص ١٢٦ .

= ٢ = سورة الفتح الآية ١ ٢ ٣ .

= ٣ = سورة النصر كاملا

= ٤ = سورة المومن الايه ٥١

علينا نصر المؤمنين " ٩٠ و قد تحقق نصر المؤمنين في مواطن عديدة في بدر ، و
احدو غيرهما من المعارك العظيمة التي شهدا تاريخ الاسلام .
الوجه الثامن : سلامة القرآن من التناقض .

سلامة القرآن من التعارض و التناقض خلافا لجميع كلام البشر وجه مزوجه
اعجازه ، قال الله تعالى " و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " ٣
هنا بعض وجوه اعجاز القرآن الكريم ، بعض العلماء قد ذكروا وجوها اخرى
للاعجاز . و لكنها ما يتداخل بعضه في بعض ، و لا يزال الزمن يكشف عن اسرار اعجاز
القرآن الكريم ، فكلما تقدم الزمن تجلت نواح من نواحي اعجازه ، و قام البرهان القاطع
على انه تنزيل من رب العالمين .

انواع الاعجاز فى القرآن

ان القرآن معجز عظيم ، و قد صنف العلماء المعاصرون انواع الاعجاز ثلاثة

ابواب ذات فروع متعددة و سوف نتناول كلا منها بالتفصيل و التوضيح فيما ياتى :

الاول : الاعجاز اللغوى

الثانى : الاعجاز العلمى

الثالث : الاعجاز التشريعى

الاعجاز اللغوى :

تتضمن مجانسة اللسانية انتخاب الالفاظ العذبة ثم تنسيقها تنسيقا يتناسب

مع اسلوبه و جودة معناه ، ثم ربط طبقا للمشاعر والغنطق وانظام كلماته و مطابقة

مصطلحاته و تناسب مناهجه و ايضاحته فى الكلمات و المعانى بطراز فائق ،

وبهذا يمكن لكل واحد ان يستوعب افكاره و معانيه و ان يدرك اعجازه اللغوى

كما يمكن ان يحفظه الطفل الصغير الذى يتجاوز عمره السنوات السبع حيث يعتبر القرآن

فى اسلوبه سلس العبارة واضح المعانى فيه سجع محبوب ، يخيل للقارى سهولة تقليد ،

و لكنه فى حقيقة امره غير قابل للتقليد او المحاكاة ، و يتميز الاسلوب القرآنى

بالتنوع و اثارة المشاعر بما يتضمنه من استفهام تارة و اجوبة تارة اخرى ، و ما

يشير اليه من اوامر و نواهي ، و ما يرد فيه من قصص و اخبار الامم فى اسلوب الایجاز

حينا و اسلوب الاطناب حينا آخر حسب ما يقتضيه المقام و يتطلب الظروف .

ان الخصائص التى امتاز بها اسلوب القرآن و المزايا التى توافرت فيه حتى

جعلت له معجزا فى لغته و بلاغته هي كما اشار اليها الزرقانى .

الخاصة الاولى : مسحة القرآن اللفظية فانها مسحة خلاصة عجيبة ، تتجلى فى

نظامه الصوتى و جماله اللغوى ، و اتساق نظمه و اثتلافه فى حركاته و سكناته ، ومداته

وغنا ته واتصالاته مما يحقق له اتساقا عجيبا واثلافا رائعا يسترعى الاسماع و يستهوى النفوس بطريقة لا يمكن ان يصل اليها اى كلام آخر من منظوم و منشور .

ان من القى سمعه الى هذه المجموعة الصوتية يشعر من نفسه و لو كان اعجميا لا يعرف العربية بانه امام لحن غريب و توقيع عجيب يفوق فى حسنه و جماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى و ترنيم الشعر لان الموسيقى تتشابه اجراسها و تتقارب انغامها فلا يفتثا السمع ان يملها و الطبع ايمجها و لان الشعر تتحد فيه الاوزان و تتشابه القوافى فى القصيدة الواحدة غالبا وان طالت على نمط يورث سامعها السائم والملل ، بينما سامع القرآن لايسام ولايمل لان اساليب القرآن متنوعة ومتجددة ، وهذا الجمال الصوتى او النظام التوقيعى ، هو اول شئ احسته الآذان العربيه ايام نزول القرآن ولم تكن مثله فيما عرفت من منشور الكلام ومسجوعه ، حتى خيل الى هؤلاء العرب ان القرآن شعر ، لانهم ادركوا في ايقاعه وترجييعه لذة ، لم يعرفوها قريبا منها الا الشعر ولاكن سرعان ما عادوا على انفسهم بالتخطئة فيما ظنوا حتى قال الوليد بن المغيرة (وما هو بالشعر) معللا ذلك بانه ليس على اعريض الشعر فى رجزه ولا فى قصيده ، ولو انصف هؤلاء لعلموا انه كلام منشور لانه معجز ليس كمثله كلام لانه صادر من متكلم قادر ليس كمثله شئ .

الخاصة الثانية: ارضاؤه العامة والخاصة ، وانا قرى عليهم القرآن

فهو كل واحد منهم حسب مستوى عقله وتفكيره .

الخاصة الثالثة : اسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معا ويجمع الحق

والجمال معا .

الخاصة الرابعة : جودة سبك القرآن واحكام سرده ، فان القرآن

بلغ من ترابط اجزائه وتماسك كلماته وجمله واياته وسوره ، مبلغا لا يدانيه

فيه اى كلام اخر مع طول نفسه وتنوع مقاصده وتلوينه فى الموضوع الواحد ، القران وحدة متماسكة متالفة على حين انه كثرة متنوعة متخالفة .

الخاصة الخامسة : براعته فى تصريف القول وثروته فى فنون الكلام و معنى هذا انه يورد المعنى الواحد بالفاظه و بطرق مختلفة بمقدرة فائقة خارقة تنقطع انفس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء وتصريف القول فى القران على هذا النحو كان فناً من فنون اعجازه الاسلوب .

الخاصة السادسة : جمع القرآن بين الاجمال والبيان ، مع انهما غايتان متقابلتان لا يجتمعان فى كلام واحد للناس (بل كلامهم اما مجمل واما مبين) .

الخاصة السابعة : ايات القران كله او اكثرها جامعة بين وفاء المعنى و قصدا للفظ لا تزيد شيأ يعتبر دخيلا فيها وغريبا عنها ، بل هى كما قال الله تعالى : الر ، كتاب احكمت اياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ١ . ويجد اعجاز اللفوى فى الفاظه التى تفى بحق كل معنى فى موضعه لالفظ يقال انه زائد و لالفظ ناقص ، ويجد ذلك فى اقتناع العقل ومتاع العاطفة بما يفى بحاجة النفس البشرية تفكيراً ووجداناً ، فلا تغطى قوة التفكير على قوة الوجدان ، ولا قوة الوجدان على قوة التفكير ، ويجد ذلك فى انواع الخطاب التى تتقارب فيها اصناف الناس حسب قدرة فهمهم من الغامضة والخاصة " قال الله تعالى : ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " ٢ -

= ١ = سورة هود الايه ١ .

= ٢ = مناهل العرفان فى علوم القران ٢ / ٢٠٥ .

الاعجاز العلمي :

ليس القرآن كتاب طب أو كيمياء ولا مجموعة جغرافية أو تاريخية ولكنه دستور سماوى فيه هدى ونور يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام و يخرجهم من الظلمات الى النور بانته و يهدى بهم الى صراط نستقيم ، القرآن الكريم هداية وعقيدة وهو يخاطب ضمير الانسان و يحيى فيه عوامل النمو والارتقاء ، والصالح والخير ، والطيبة والفضيلة .

لقد احاطت جوامع الكلم بهذا السرا لالهى الذى جمع بين ما جمع قصص الانبياء و بيان الحكم وأساس الموعظة الحسنة كما اشار الى كثير من الحقائق العلمية والكونية التى تشهد بانه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها .

لم ينزل القرآن الكريم تطبيقا لنظرياتنا العلمية او تحقيقا لافكارنا على هذا فنحن لا نستطيع ان نطبق اية نظرية بالافتراض مع القرآن لان هذه النظريات قد تكون صحيحة مطابقة ليومنا الحاضر ولكنها تختلف فى المستقبل القريب والبعيد نظرا لما يحدث من تطورات مستمرة فى مجال العلم والمعرفة ، اما القرآن الكريم فبنعمة من الله و فضل محكم فى آياته ، مسلسل فى حوادثه ، عظيم فى معناه ، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . يقول مناع القطان : " والذين يفسرون القرآن الحكيم بما يطابق مسائل العلم و يستخرجون منه كل مسألة تظهر فى عالم العلم يسيئون الى القرآن من حيث يظنون انهم يحسنون صنعا ، لان هذه المسائل التى تخضع تتبدل " ١ . ويقول الشهيد سيد قطب فى تفسيره : " و انى لاعجب لسناجدة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون ان يضموا اليه ما ليس منه و ان يحملوا ما لم يقصد اليه و ان يستخرجوا منه جزئيات فى علوم الطب والكيمياء والفلك و ما اليها

كانما ليعظموه بهذا و يكبروه " ١٠ .

ان الحقائق القرآنية حقائق قاطعة مطلقة ١٠٠٠ اما ما يصل اليه البحث الانساني - وهي مقيدة بحدود تجاربه و ظروف هذه التجارب و ادواتها - بحكم المنهج العلمى الانسانى ، ان نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية ، و هى كل ما يصل اليه العلم البشرى ، هذا بالقياس الى الحقائق العلمية و الامر اوضح بالقياس الى النظريات و الفروض التى تسمى " علمية " فهى قابلة دائما للتغير و التعديل و النقص و الاضافة ، بل قابلة لان تنقلب راسا على عقب بظهور اداة كشف جديدة او بتفسير جديد لمجموعات الملاحظات القديمة . و يقول مناع القطان : و كل محاولة لتعليق الاشارات القرآنية العامة بما يصل اليه العلم من نظريات متجددة متغيرة ، و حتى بحقائق علمية ليست مطلقة ، تحتوى اولا على خطأ منهجى اساسى ، كما انها تنطوى على معان ثلاثة ، كلها لا يليق بجلال القرآن .

الاول : العزيمة الداخلية التى تخيل لبعض الناس ، ان العلم هو المهيمن و القرآن تابع ، و من هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم او الاستدلال له من العلم ، على حين ان القرآن كتاب كامل فى موضوعه ، و نهائى فى حقائقه و العلم ما يزال فى موضوعه ينقص اليوم ما اثبته بالامس و كل ما يصل اليه غير نهائى و لا مطلق لانه مقيد بوسط الانسان و عقله و ادواته ، و كلها ليس من طبيعتها ان تعطى حقيقة واحدة و مطلقة .

الثانى : سوء فهم طبيعة القرآن ، و هى انه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الانسان النسبية - مع طبيعة هذا الوجود و قاموسه الالهى ، حتى لا يصطدم الانسان بالكون من حوله ، بل يصادقه و يعرف بعض اسراره ، و يستخدم بعض نوااميسه التى تكشفه بالنظر و البحث و التجريب و التطبيق .

الثالث : التأويل المستمر - مع التعامل و التكلف - لنصوص القرآن كي نحملها ونلث بها وراء الفروض و النظريات التي لا تثبت و لا تستقر و كل يوم يجد فيها جد يد .
و لعلنا نجد كثيرا من التعسف في تأويل دلالات بعض الآيات القرآنية من وجهة نظر بعض من يحاولون تثبيت القرآن بالنظريات العلمية و من ذلك ادعاء البعض في قوله تعالى " لتركبن طبقا عن طبق " ١ .

ان في هذه الآية الكريمة اشارة الى الصواريخ ٢ . و الله اعلم قبل اختراع الصواريخ ما كان في تفسير الآية في نظر المؤلف . وان في قوله تعالى " فاذا النجم طمست ، و اذا السماء فرجت ، و اذا الجبال نسفت " ٣ ، اشارة الى انها تكشف عن الانفجار النووي ٤ ، و ان الآية الكريمة " ان كانت الاصححة واحدة فاننا هم خامدون " ٥ ، توضح الذبابات الصوتية ٦ .

والغاية من ذكر هذه الامثلة بيان ان تطبيق الايات على النظريات العلمية المستحدثة لا يسوغها ، ولا يزيد ذلك من فضل القرآن واعجازه فالقران يمجّد العلم والفكر الصائب ، ويرغب باثمة في التأمل والتدبر والامعان ، لانه يخطر الجمود و التقليد ، ويمدح اهل العلم و الفهم و الذكاء و يدعو الى العلم و التفكير والعمل الصالح .

-
- = ١ = سورة الانشقاق الآية ١٩ .
= ٢ = العلوم الطبيعية في القرآن ص ١٠٠ .
= ٣ = سورة المرسلات ١٠ - ١١ .
= ٤ = العلوم الطبيعية في القرآن ص ٩٩ .
= ٥ = سورة يسن الآية ٢٩ .
= ٦ = العلوم الطبيعية في القرآن ص ٩٦ . اعجاز القرآن الحكيم اعجازه و علومه و بلاغته ص ١٠٨ .

الاعجاز التشريعى

ان القرآن الحكيم دستور تشريعى كامل شامل يقيم الحياة الانسانية على افضل صورة و اعلى مقام و ارقى مثال ، و ان الاعجاز التشريعى يبدو في القرآن الكريم حقيقة واضحة و فيه دستور الاسلام و من انواع التشريع ما يجعل احكامه جديرة بالتنفيذ في كل مكان و اى زمان ١

فيجب على المسلم ان ياخذ بشرائع القرآن الكريم في العبادات و غيرها فالصلاة تنتهى عن الفحشاء و المنكر و المسلم يقف بين يدى الله خمس مرات في اليوم الواحد مع طهارة الجسم و القلب لتمتزج حياته بشرع الله و الزكاة تبعد الانسان من الشح و الحرص على الدنيا و عبادة المال و حب الثروة ، فالزكاة تعاون بين الواصلين و المحرومين .

و الصيام تدريب للشهوات و تقوية للارادة ، و ضبط النفس ، و تأكيد للصبر و الاستقامة و الحج تدريب للنفس على تحمل المشقة ، و تفتح بصيرة الانسان و هو مؤتمر عالمي يجتمع فيه المسلمون في لباس واحد فيتعارفون و يتشاورون ، فالعبادات في الاسلام تحرض النفس على الصدق و الصبر و العدل و الاحسان و العفو و الحلم و التواضع و المحبة ، و في ذلك يقول الزرقاني : " ترتيب الاوامر و النواهي (في الاسلام) ترتيبا يسع جميع الناس على تفاوت استعدادهم و مواهبهم ، فالامور الدينية درجات : هذا ايمان و هذا اسلام ، و هذا ركن ، و هذا فرض ، و هذا واجب ، و هذا مندوب مؤكد ، و هذا مندوب غير مؤكد ، و المناهي كذلك درجات هذا نفاق و هذا شرك و هذا كفر و هذه كبيرة و هذه صغيرة ، و هذا مكروه تحريما ، و هذا مكروه تنزيها ... و ما وراء هذه الاوامر و النواهي فمباحات ، لكل ان ياخذ و ان يدع ، ولا ريب ان وضع التشريع على هذا الوجه فيه متسع للجميع ، و فيه اغراء للنفس الضعيفة ان تتشرف باعتناق الاسلام و لو في اننى درجة من درجاته ، حتى انا انستبه و ناقت حلوته ، تدرجت في مدارج الرقى ،

فمن ايمان الى الاسلام الى انا ركن الى انا فرض الى انا واجب الى انا مندوب
مؤكد الى انا مندوب غير مؤكد ، و من ترك نفاق الى ترك شرك و كفر الى ترك كبيرة
الى ترك صغيرة الى ترك مكروه تحريما الى ترك مكروه تنزيها الى ترك مالا بأس به
حذرا مما به يأس " ١ .

و يجدر بنا ان نشير الى بعض الآيات التي تتحدى في تشريعها شرائع الدنيا
و قوانينها الوضعية من حيث الموضوع و الاسلوب ، يقول الله تعالى : " يأيتها الذين
آمنوا انما الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم
تفلحون " انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و البغضاء في الخمر و الميسر
و يصدكم عن ذكر الله و عن الصلاة ، فهل انتم منتهون " ٢ .

لقد شرح القرآن الانظمة الخاصة و العامة للتعامل مع ذكر ما فيها من
مساوى باسلوب واضح مناسب للمقام و في هذه الآية المذكورة يبين آثام الخمر و الميسر
والانصاب و الازلام و ما يترتب عليها من خسائر و عواقب ، ثم امر امرأ صريحا باجتنابها
و الابتعاد عنها ، و هكنا احاطت هذه الآية الكريمة بعد من مسائل التشريع الاسلامي
فالخمر ام الخبائث و منبع الآثام بما فيها من مكائد و نوب و هي التي تؤدي بالانسان
الى الدمار و الهلاك ، و قد نهى الله تعالى عن الزنا في الآية الكريمة " ولا تقربوا
الزنا انه كان فاحشة و ساء سبيلا " ٣ .

و من هنا تتضح لنا مزار الزنا فهو يضر بالصحة و يؤثر على النسل و يهدد
الحياة الاجتماعية ، و يفسد العلاقات بين الافراد ، و في النهاية يشعر الزاني
بالندم و الاثم و يحتقر نفسه لا ارتكابه هذه الجريمة الشنيعة .
فعملية الزنا تؤثر على المجتمع لانه نذب اجتماعي كبير يقود الى اسوأ

= ١ = منا هل العرفان ٣٦٠/٢ .

= ٢ = سورة المائدة الآية ٩٠ ، ٩١ .

= ٣ = سورة الاسراء الآية ٣٢ .

النتائج وارذل الجرائم ، لذ لك كانت عقوبته شديدة فى القرآن الكريم
يقول الله تعالى : الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم
بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين " ١ .

هذه العقوبة القاسية اقترتها الشريعة الاسلاميه تطهيرا للنفس
و تكفيرا عن سيئاتها وحفظا على تماسك الاسرة وصيانة للمجتمع هل يوجد
قانون فى الدنيا يعالج هذا العمل القبيح ، كما عالج القرآن الكريم ،
يقول الدكتور عبد الحليم ٢ : ولقد عجزت تشريعات الاوربييه والامريكيه عن مقاومة
الجريمة ، وبالنسبة لبعض الجرائم كجريمة الزنا تضاربت الشرائع ، كل شريعة متميزة
فى العقوبات الواجب تطبيقها ، فكل من الشريعة الانجليزيه والروسيه اعلنت صراحة
ورسميا فشلها فى مقاومة هذه الجريمة وهى اسوأ الجرائم من حيث آثارها على المجتمع
لانهما قررتا عدم عقوبتهما ، وثمة تشريعات اخرى ، كالقانون الفرنسى والقانون
اليطليانى عاقبت عليه بالحبس والغرامة مع تشديد العقوبة على الزوجة الزانية
فالعقوبة بالنسبة لها سنتان ، اما الزوج فعقوبته ستة اشهر فقط ، وهذه العقوبة
لاتفيد شيئا بل اثمتا اكبر من نفعها ، وما ذلك الا لأن كل هذه الشرائع لم تقف على
طبيعة الجرائم وبالنسبة ذلك ان الحد الاسلامى يتفق تماما مع طبيعة الجريمة التى
يعاقب عليها " ٣ .

= ١ = سورة النور الايه ٢ .

= ٢ = الدكتور عبد الحليم استاذ بكلية العلوم القانونيه والاقتصاديه

والاجتماعيه بجامعة محمد بن عبد الله بمدينة فاس فى المغرب ، فى

كتابه " اعجاز القرآن الكريم وصدق النبوة فى العلوم القانونيه والاجتماعيه

والاقتصاديه والسياسة والفلسفة "

= ٣ = القرآن الكريم ، اعجازه ، بلاغته وعلومه ص ١١٤

و خلاصة القول ان التشريع الاسلامى الهى المصدر وقد وضع احكامه ونظامه وقوانينه ، وهو كامل الاصول شامل المبادئ والقواعد وهو عادل لجميع المخلوقات ، ويقول محمد اسماعيل ابراهيم فى كتابه " القرآن واعجازه التشريعى " ان احكام القرآن هى قمة الاعجاز التشريعى الذى يتحقق خيره باتباعه ويتحقق شره بتركه ، ولو اننا نؤيرنا ما جاء فى القرآن من آيات الاحكام فى شان المرأة وتنظيم الاسرة وعلاقة افرادها بعضهم ببعض لنجد العدل والرحمة والمودة فى اروع صورة لها لقد كانت المرأة قبل نزول القرآن تعاني كل انواع الظلم والعسف والاضطهاد فعاشت مهضومة الحقوق مهينة الجناح لاحول لها ولا قوة وقد وصل الحال بان الناس كانوا يكرهون حياتها ويحاولون التخلص منها ، قال الله تعالى : ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ، وانا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسونا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما يشربه ، ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون ، ١ .

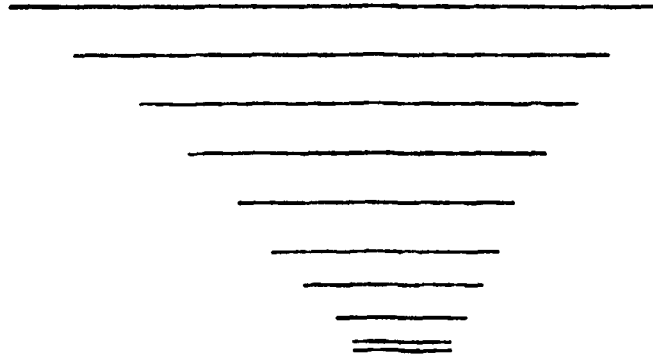
فجاء الشرع يرد للمرأة اعتبارها ويعزز مكانتها وشرع لها من الحقوق ما لم نجد فى اى شريعة من الشرائع الدينية السابقة او القوانين الوضعيه وكفل لها فى التشريع الحكيم ما يحقق امنها واستقرارها فى جميع مراحل حياتها " ٢ .

لقد جمع القرآن كل ما يحتاج الانسان ، فنهى عن السرقة والخيانة والقتل والاستخفاف وهتك العرض ، كما تضمن احكام الوراثة والنكاح والطلاق وابواب الحلال والحرام والامربا المعروف والنهى عن المنكر وعقاب من يأكل مال اليتيم الى غير ذلك من ضروب التشريع التى تهم جميع جوانب حياة الانسان .

= ١ = سورة النحل الايه ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ .

= ٢ = القرآن الحكيم ، اعجازه ، بلاغته وعلومه ١١٦ .

وخلاصة القول ان القرآن الكريم بأسلوبه وتشريعاته يؤثر في قلوب الخواص والعوام و يستولى على نفوسهم ويسطر على انهم ، ففيه الفصاحة النادرة والامتناع الروحي والوجداني التي جانب ما يتضمنه من تشريعات في العبادة والمعاملات والعلاقات الانسانية العامة والخاصة ، وهذا هو اعجاز القرآن التشريعي الذي يشتمل من قوانين وتشريعات لم يعد في حاجة التي بعد ان اخذت عنه الدساتير المختلفة لبلاد العالم وبعد ان عهد له خصوم الاسلام ، واصبحت قوانينه يرجع اليها في الخلاف حتى لغير المسلمين ، ولم يترك القرآن اية علاقة لإنسان بغيره الا وقد اصولها وما يجب فيها ، كلورثة والوصية والزواج والطلاق والعقد والبيع والشراء والتجارة ، وقد اوضح القرآن من القوانين والتشريعات ما يحفظ حقوق الانسانية ، وقد ثبت ان الشريعة الاسلامية تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن .



البَابُ الثَّالِثُ

آراء العلماء فى الاعجاز ومناهبهم

آراء العلماء فى الاعجاز و مذاهبهم

القرآن العظيم كلام الله المعجز للخلق ، فى اسلوبه و نظمه و فى روعته و بيانه ، و فى علومه و حكمه و فى تأثيره هدايته ، و فى كشفه الحجب عن الغيوب الماضية و المستقبلية ، و لم يحدث فى تاريخ البشرية ان امة من الامم ، اعتنت بكتابتها السماوى كما اعتنت هذه الامة المحمدية ، و لم نسمع عن كتاب مقدس نال من الحفظ و الاجلال والاكبار ، ما ناله هذا الكتاب المجيد ، معجزة محمد الخالدة ، و حجة البالغة ، و دعوته الى الناس اجمعين ، ولا عجب ان ينال القرآن العظيم هذه المنزلة الرفيعة ، و يحتل من نفوس المسلمين تلك المكانة الجليلة ، ذلك لان الاحداث التى رافقت نزول هذا الكتاب المقدس ، تجعله يتبوأ مكان المدارة بين جميع الكتب السماوية ، و يفوق كل ما جاء به الانبياء و المرسلون صلوات الله عليهم اجمعين ، من هداية و اصلاح و تربية و تعليم و تشريع .

بذل العلماء جهودا مشكورا ، و قاموا بمحاولات قيمة لابرار الاعجاز

القرآنى فى كل مكان و زمان .

و لعل الجاحظ (ت ٢٥٥) اول من تكلم على بعض المباحث المتعلقة بالاعجاز فى كتابه " نظم القرآن " و لم يملنا هذا الكتاب ، و لكن للجاحظ نفسه اشارات الى هذا الكتاب فى كتابه " الحيوان " اذ يقول : " ولى كتاب جمعت فيه آيا من القرآن لتعرف بها ما بين الايجاز و الحذف ، و بين الزوائد و الفضول و الاستعارات ، فاننا قرأتها رأيت فضلها فى الايجاز و الجمع للمعانى الكثيرة بالالفاظ القليلة ، فمنها قوله حين وصف خمر اهل الجنة " لا يصدعون عنها و لا ينزفون " و هاتان الكلمتان جمعتا جميع عيوب خمر اهل الدنيا ، و قوله عز وجل حين ذكر فاكهة اهل الجنة " لا مقطوعة و لا ممنوعة " جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعانى " ١ .

بعد ان اجمع العلماء على اعجاز القرآن و لكن اختلف آراؤهم في وجه
اعجاز القرآن ، و نهبوا في اعجاز القرآن مذاهب شتى و تناول كل فريق اعجازه من ناحية .
آراء العلماء من القدماء في الاعجاز :

قال ابو حيان التوحيدى (المتوفى عام ٣٨٠ هـ) : سئل
بندار الفارسي عن موضع الاعجاز من القرآن ، فقال هذه مسألة فيها حيف على المعنى
و ذلك انه شبهه بقولك : ما موضع الانسان من الانسان ، فليس للانسان موضع من الانسان
بل متى اشرت الى جملة فقد حققت ، و دللت على ذاته ، كذلك القرآن ، لشرفه لا يشار
الى شئ منه الا وكان ذلك المعنى آية في نفسه أو معجزة لمحاوله ، و هدى لقائه ، و
ليس في طاقة البشر الاحاطة باغراض الله في كلامه و اسراره في كتابه فلذلك حارت
العقول و تاهت البصائر عنده " ٤ .

قال الاصفهاني (المتوفى عام ٣٢٢ هـ) في تفسيره :
اعلم ان اعجاز القرآن ذكر من وجهين : احدهما اعجاز يتعلق بنفسه ، و الثانى بصرف
الناس عن معارضته ، فالاول اما ان يتعلق بفصاحته و بلاغته او بمعناه ،
اما الاعجاز المتعلق بفصاحته و بلاغته فلا يتعلق بعنصره ، الذى هو اللفظ
و المعنى ، فان الفاظه الفاظهم ، قال تعالى " قرآنا عربيا " (بلسان عربى) ولا بمعانيه
فان كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة ، قال تعالى " و انه لفى زبر الاولين " ٣ .
و ما هو في القرآن من المعارف الالهية و بيان المبدأ و المعاد و الاخبار بالغيب ،
فاعجازه ليس براجع الى القرآن من حيث هو قرآن ، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم
و تعلم ، و يكون الاخبار بها اخبارا بالغيب ، سواء كان بهذا النظم او بغيره موردا

= ١ = سورة يوسف الآية ٢
= ٢ = سورة شعراء الآية ١٩٥
= ٣ = سورة الشعراء الآية ١٩٦ .
= ٤ = القرآن بين الحقيقة و المجاز و الاعجاز ص ٨١

بالعربية او بلغة اخرى ، او بعبارة او باشارة ، فاذا النظم المخصوص صورة القرآن
واللفظ والمعنى عنصريه .

وباختلاف الصور يختلف حكم الشئ واسمه لا بعنصره كالخاتم و القرط و
السوار ، فانه باختلاف صورها يختلف اسمائها ، لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة
والحديد ، فان الخاتم المتخذ من الذهب و من الفضة و من الحديد يسمى خاتما ، وان
كان العنصر مختلفا ، وان اتخذ خاتم و قرط و سوار من الذهب باختلاف اسمائها باختلاف
صورها ، وان كان العنصر واحدا فظهر من هذا ان الاعجاز المختص
بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص و بيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام
ثم بيان ان هذا النظم مخالف لنظم ما عداه ، فنقول : مراتب تأليف الكلام خمس :
الاولى : ضم الحروف المبسوطة بعضها الى بعض ، لتحصيل الكلمات الثلاث : الاسم و
الفعل و الحرف .

الثانية : تأليف هذه الكلمات بعضها الى بعض ، لتحصيل الجمل المفيدة ، وهو
النوع الذي يتداوله الناس جميعا في مخاطباتهم ، و قضاء حوائجهم ، و يقال له المنثور
من الكلام .

الثالثة : ضم بعض ذلك الى بعض ضما له مباد و مقاطع و مداخل ومخارج ، و يقال له
المنظوم .

الرابعة : ان يعتبر في اواخر الكلام مع ذلك تسجيع ، و يقال له المسجع .

الخامسة : ان يجعل له مع ذلك وزن و يقال له الشعر و المنظوم اما محاوراة و يقال
له الخطابة و اما مكاتبة و يقال له الرسالة .

فانواع الكلام لا تخرج عن هذه الاقسام ، و لكل من ذلك نظم مخصوص ،
فالقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شئ منها ، يدل على ذلك
انه لا يصح ان يقال له ، رسالة او خطابة ، او شعر ، او سجع ، كما يصح ان يقال : هو

كلام ، والبليغ انا قرع سمعه فصل بينه و بين ما عداه من النظم ، و لهذا قال تعالى
 " واخه لكتب عزيز ، لا ياتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه " ١ . تنبيهها على ان تاليه
 ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر ، فيمكن ان يغير بالزيادة و النقصان كحالة الكتب الاخرى
 و قال ايضا : و اما الاعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته مظاهرا ايضا انا اعتبر ،
 وذلك انه ما من صناعة محمودة كانت او مذمومة الا و بينها و بين قوم مناسبات خفية ،
 و اتفاقات حملية ، بدليل ان الواحد يؤثر حرفة من الحرف ، فيشرح صدره بملاستها
 و تطيعه قواه في مباشرتها ، فيقبلها بانشرح صدر و يزاولها باتساع قلب ، فلما دعا
 الله اهل البلاغة و الخطابة الذين يهيمنون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم الى
 معارضة القرآن و عجزهم عن الاتيان بمثله ، و لم يتصدوا للمعارضة لم يخد على أولى
 الآل باب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك ، و اى اعجاز اعظم من ان يكون كافة البلغاء
 عجزا في الظاهر عن معارضته ، مصروفة في الباطن عنها " ٢ .

قال ابو سلمان حمد بن ابراهيم الخطابي (المتوفى ٣٨٨ هـ)

" اعلم ان القرآن انما صار معجزا لانه جاء بافصح الالفاظ فى احسن نظوم التاليف
 مضنا اصح المعانى ، من توحيد له عزت قدرته ، و تنزيه له في صفاته ، و دعاء الى
 طاعته ، و بيان لمنهاج عبادته ، من تحليل و تحريم ، و حظر و اباحة ، و من وعظ و تقويم
 و امر بعروف و نهى عن المنكر ، و ارشاد الى محاسن الاخلاق ، و زجر عن مساوئها ، و اضا
 كل شئ منها موضعه الذى لا يرى شئ اولى منه ، ولا يرى في صورة العقل امر اليق منه
 مودعا الخبر القرون الماضية و ما نزل من مثلات الله بمن عصى و عاند منهم ، منبثا عن

= ١ = سورة خسم السجدة ٤١ ، ٤٢ .

= ٢ = القرآن الحكيم اعجازه بلاغته و علومه ص ٧٢ .

الكوائن المستقبلية في الاعصار الباقية من الزمان ، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك اوكد للزوم ما دعا اليه ، وانباء عن وجوب ما امر به ونهى عنه ، و معلوم ان الاتيان بمثل هذه الامور و الجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتنسق امر تعجز عنه قوى البشر ثم قال : ان في اعجاز القرآن وجهاً آخر نهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه الا الفاذ من آحادهم ، و ذلك صنعة بالقلوب و تأثيره في النفوس ، فانك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً ، اذا قرع السمع خلس له الى القلب من اللذة و الحلاوة في حال ، و من الروعة و المهابة في اخرى ما يخلص منه اليه تستبشر به النفوس و تنشرح له الصدور ، حتى اذا اخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق و تغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، و تنزعج له القلوب يحول بين النفس و بين مضمراتها و عقائدها الراسخة منها ، فكم من عدد للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب اقبلوا يريدون اغتياله و قتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في سماعهم ان يتحولوا عن رأيهم الاول ، و ان يركنوا الى مسالته وينخلوا في دينه ، و صارت عدوتهم موالاة ، و كفرهم ايماناً " ١ .

و قال القاضي ابو بكر الباقلاني (المتوفى عام ٤٠٣ هـ)

" وجه اعجازه ما فيه من النظم و التاليف و الترصيف ، و انه خارج عن جميع وجه النظم المعتاد في كلام العرب و مباين الاساليب خطاباتهم و لهذا لم يمكنهم معارضته ولا سبيل الى معرفة اعجاز القرآن من اصناف البديع التي اودعها في الشعر ، لانه ليس مما يخرق العادة ، بل يمكن استدراكه بالتعليم و التدريب والتصنيع به ، و قال ايضا : وما يبطل ما ذكره من القول بالصرفة انه لو كانت المعارضة ممكنة - وانما منع منها الصرفة - لم يكن الكلام معجزاً ، و انما يكون معجزاً ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه ، و ليس هذا باعجب مما نهب اليه فريق منهم ان الكل قادرون على

الانبياء بمثله ، و انما يتأخرون عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ولا باعجب من قول فريق منهم : انه لا فرق بين كلام البشر و كلام الله تعالى في هذا الباب ، وانه يصح من كل واحد منهما الاعجاز على حد واحد ، فان قيل : فهل تقولون بان غير القرآن من كلام الله عزوجل معجز كالطوراة والانجيل و الصحف ، قيل : ليس شيء من ذلك بمعجز في النظم و التاليف و ان كان معجزا كالقران فيما يتضمن من الاخبار بالغيب و انما لم يكن معجزا لان الله تعالى لم يصفه بما وصفه به القرآن ، و لأننا قد علمنا انه لم يقع التحدى اليه كما وقع التحدى الى القرآن ، و لمعنى آخر وهو أن ذلك اللسان لا يتأتى فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذي ينتهى الى حد الاعجاز ، و لكنه يتقارب ، و قد رأيت اصحابنا يذكرون هذا في سائر الالسنه ويقولون : ليس يقع فيها من التفاوت ما يتضمن التقدير العجيب ، و يمكن بيان ذلك بأننا لا نجذفى القدر الذي نعرفه من الالسنه للشئ الواحد من الكسما ما نعرف من اللغة العربية ، و كذلك لا نعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعانى الكثيرة على ما تتناوله العربية ، و كذلك التصرف من الاستعارات و الاشارات و وجوه الاستعمالات البديعة التى يجيئ تفصيلها بعد هذا .

و يشهد لذلك من القرآن ان الله تعالى وصفه بانه (بلسان عربى مبين) و كرر ذلك في مواضع كثيرة ، و يبين انه رفعه عن ان يجعله اعجميا فلو كان يمكن فى لسان العجم ايراد مثل فصاحته ، لم يكن ليرفعه عن هذه المنزلة ، و انه وان كان يمكن ان يكون من فائدة قوله " انه عربى مبين " انه مما يفهمونه ولا يفتقرون فيه الى الرجوع الى غيرهم و لا يحتاجون في تفسيره الى من سواهم ، فلا يمتنع ان يفيد ما قلنا ايضا كما افاد بظاهره ما قدمنا . - و يبين ذلك ان كثيرا من المسلمين قد عرفوا تلك الالسنه و هم من اهل البراعة فيها و في العربية ، فقد وقفوا على انه ليس يقع فيها من التفاضل و الفصاحة ما يقع في العربية ، و معنى آخر ، و هو انه لم نجد اهل الطوراة و الانجيل اتعوا الاعجاز لكتابهم ، و لا انعى لهم المسلمون ، فعلم ان الاعجاز مما يختص به القرآن

ويتبين هذا ان الشعر لا يتأتى في تلك الالسنه على ما قد اتفق في العربية ، و ان كان قد يتفق منها صفا و اصناف ضيقة ، لم يتفق فيها من البديع ما يمكن و يتأتى في العربية و كذلك لا يتأتى في الفارسية جميع الوجوه التي تتبين فيها الفصاحة على ما يتأتى في العربية فان قيل : فان المجوس تزعم ان كتاب زرادشت معجز ولكنه ضروب من الشعوذة ليس يقع فيها اعجاز و يزعمون ان في الكتاب الحكم ، و هى حكم منقولة متداولة على الالسن لا تختص بها امة دون امة ، و ان كان بعضهم اكثر اهتماما بها و تحصيلها و جمعا لابوابها وقد ائتمى قوم ان ابن المقفع عارض القرآن ، و انما فزعوا الى الدرة اليتيمة ، و هما كتابان احدهما يتضمن حكما منقولة توجد عند حكماء كل امة مذكورة بالفضل ، فليس فيها شئ بديع من لفظ ولا معنى ، و الآخر فى شئ من الديانات ، و قد تهوس فيه بما لا يخفى على متأمل ، و كتابه الذى بيناه فى الحكم منسوخ من كتاب بزرجمهر فى الحكمة فأى صنع له فى ذلك ، و اى فضيلة حازها فيما جاء به ، فليس يوجد له كتاب يدعى مدع انه عارض فيه القرآن بل يزعمون انه اشتغل بذلك مدة ثم مزق ما جمع ، و استحيا لنفسه من اظهاره فان كان كذلك فقد اصاب و ابصر القصد ، و لا يمتنع ان يشتبه عليه الحال فى الابتداء ثم يلوح له رشده و يتبين له امره و ينكشف له عجزه ، و لو كان بقى على اشتباه الحال عليه ، لم يخف علينا موضع غفلته و لم يشتبه لدينا وجه شبهته ، و متى امكن ان تدعى الفرس فى شئ من كتبهم انه معجز فى حسن تاليفه و عجيب نظمه " ١ .

وقال القاضى عيسى فى كتابه " الدفاء " اعلم ان القرآن منطو

على وجوه من الاعجاز كثيرة ، و تحصيلها من جهة ضبط انواعها فى اربعة وجوه :

الاول : - حسن تاليفه و التثام كلمه و فصاحته ، و وجوه ايجازه و بلاغته الخارقة .

الثاني : - صورة نظمه العجيب ، و الاسلوب الغريب ، المخالف لسايب كلام العرب

و منهاج نظمها و نشرها الذى جاء عليه ، و وقفت عليه مقاطع آياته ، و انتهت اليه فواصل

كلماته ، و لم يوجد قبله ولا بعده نظير له .

الثالث : - ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات و ما لم يكن ، فوجد كما ورد .
الرابع : - ما انبأ به من اخبار القرون السالفة ، و الامم البائدة ، والشرائع
الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذى قطع
عمره فى تعلم ذلك ، فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتى على نصه ، و هو امى
لا يقرأ ولا يكتب .

فهذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لانزاع فيها ، و من الوجوه في اعجازه
غير ذلك آى وردت بتعجيز قوم في قضايا و اعلامهم انهم لا يفعلونها ، فما فعلوا و لا
قدروا على ذلك كقوله لليهود " فتمنوا الموت ان كنتم صادقين و لن يتمنوه ابدا " ١٠ فيما
تمناه احد منهم ، و هذا الوجه داخل في الوجه الثالث ، و منها الروعة التى تلحق قلوب
سامعيه عند سماع آيات منه ، كما وقع لجبير بن مطعم انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور قال : فلما بلغ هذه الآية : ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون
ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المصيطنون ٢٠ .
كاد قلبى يطير قال : و ذلك اول ما وقر الاسلام فى قلبى . ثم قال القاضى عياض : ومن
وجوه اعجازه كونه آية باقية ، لا يعدم ما بقيت الدنيا ، مع تكفل الله بحفظه ، و منها
ان قارئه لا يمل و سامعه لا يمل ، بل الاكباب على تلاوته يزيد حلاوة ، و ترديده يوجب
له محبة ، و غيره من الكلام يعادى انا اعيد ، و يحل مع التردد ، و لهذا وصف صلى الله
عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الترناد ، و منها جمعه لعلوم و معارف لم يجمعها
كتاب من الكتب ، ولا احاط بعلمها احد ، فى كلمات قليلة و احرف معدودة .

= ١ = سورة البقرة الآية ٩٤ ، ٩٥ .

= ٢ = سورة الطور الآية ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

وهذا الوجه داخل في بلاغته ، فلا يجب ان يعد فنا مفردا في اعجازه و
الوجه التي قبله تعد في خواصه وفضائله لا اعجازه ، وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة
الاولى فليعتمد عليها " ١ .

وقال ابن عطية : (المتوفى عام ٥٤٦ هـ) " الصحيح والذي عليه الجمهور
والحذاق في وجه اعجازه ، انه بنظم وصحة معانيه و توالي فصاحة الفاظه ، و ذلك ان
الله احاط بكل شئ علما ، و احاط بالكلام كله علما ، فاذا ترتبت اللفظة من القرآن
علم باحاطته اى لفظة تصلح ان تلى الا ولى و تبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من
اول القرآن الى اخره والبشر يعهم الجهل والنسيان والذهول ، و معلوم ضرورة ان احدا
من البشر لا يحيط بذلك ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة " ٢ .
و قال السكاكي (ابو يعقوب يوسف بن علي) مؤلف كتاب "مفتاح
العلوم " اعلم ان اعجاز القرآن يدرك ، ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ولا
يمكن وصفها ، و كالملاحة ، و كما يدرك طبيب الفم العارض لهذا الصوت ، ولا يدرك
تحصيله لغير نوى الفطرة السليمة الا باتقان على المعاني والبيان والتمرين فيهما " ٣ .
قال عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى عام ٤٧١ هـ)
في كتابه الرسالة الشافية في دلائل الاعجاز " انه لا يكون عجز حتى يثبت معجوز عنه
معلوم ، الوصف الذي طوّل العرب بالاثيان بكلام عليه لابد ان يكون وصفا قد تحدّد بالقرآن
وامرا لم يوجد في غيره ، و لم يعرف قبل نزوله ، ولا يجوز ان يكون ذلك في الكلمة المفردة
ولا في معاني الكلمة المفردة ، و لا في تركيب الحركات والسكنات .

= ١ = القرآن الحكيم اعجازه بلاغته و علومه ص ٧٧ .

= ٢ = المصدر نفسه ص ٧٨ .

= ٣ = المصدر نفسه ص ٧٩ .

الأدلة على كل هذا البطلان أن القول بالصرف ، لا يمكن أن تجعل الاستعارة الأصل في الإعجاز ، وأنا أقتنع بذلك لم يبق إلا أن يكون الإعجاز في النظم والتأليف ، الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم فهي داخلية فيما به الإعجاز ، المؤيدة المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر وليس الإعجاز باستعمال الفصح أو الاكثار من الغريب .

وقال أيضا : والامر في ذلك اظهر من أن يخفى ، أو أن ينكره الأجاهل أو معاند ، وإذا ثبت أنهم الأصل والقدرة ، فإن علمهم العلم ، فبنا أن ننظر في دلائل أحوالهم وأقوالهم حين تلى عليهم القرآن وتحدوا إليه ، وملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله ومن التفرع بالعجز عنه ، وبت الحكم بأنهم لا يستطيعونه ولا يقدرّون عليه وإذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكو في عجزهم عن معارضته والأتیان بمثله ، و تحدّثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه " ١ .

وقال ابن سراقه (المتوفى عام ٦٦٢ هـ) " اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن ، فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب ، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره ، فقال قوم : هم الإيجاز مع البلاغة . وقال آخرون : هو البيان والفصاحة . وقال آخرون هو الصرف والنظم . وقال آخرون هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر ، مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم والفاظه من جنس كلماتهم ، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم ، و جنس آخر متميز عن اجناس خطابهم ، حتى أن من اقتصر على معانيه ، وغير حروفه انهب رونقه ، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه ابطل فائده ، فكان في ذلك ابلغ دلالة على إعجازه . وقال آخرون : هو كون قارئه لا يكمل ، وسامعه لا يمل ، وأن تكررت عليه تلاوته ، وقال

آخرون : هو ما فيه من الاخبار عن الامور العاضية ، و قال آخرون : هو ما فيه من عل
الغيب و الحكم على الامور بالقطع . و قال آخرون : هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها
و يشق حصرها " ١ .

و قال الزمـسـلكا نـسـي (المتوفى عام ٧٢٧ هـ) في البرهان : " وجه
الاعجاز راجع الى التاليف الخاص به لا مطلق التاليف ، بان اعتد لتفرداته تركيبا
وزنه ، و علت مركباته معنى ، بان يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى " .
و قال حازم في منهاج البلغاء : " وجه الاعجاز في القرآن
من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع انحاءها في جميعه ، استمرارا لا يوجد له
فترة ، ولا يقدر عليه احد من البشر ، و كلام العرب و من تكلم بلغتهم ، لا تستمر الفصا
و البلاغة في جميع انحاءها في العالي منه الا في الشئ اليسير المعدود ، ثم تعرض
الفترات الانسانية فينقطع طيب الكلام و رونقه ، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه ،
بل توجد في تفريق و اجزاء منه " ٣ .

و قال بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (توفي عا ٧٩٤ هـ)
في " البرهان في علوم القرآن " ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق من اقوال ، لا بكل واحد
على انفراده ، فانه جمع كله فلا معنى لنسبته الى واحد منها بمفرده مع اشتماله على
الجميع ، بل و غير ذلك مما لم يسبق ، فمنهما الروعة التي في قلوب السامعين واسماعهم
سواء المقرين و الباهدين ، ثم ان سامعه ان كان مؤمنا به يداخله روعة في اول سماعه
وخشية ، ثم لا يزال يجد في قلبه هتاشة اليه و محبة له ، و ان كان جاحدا وجد فيه مع
تلك الروعة نفورا و عيا ، لا انقطاع مادته بحسن سمعه ،

= ١ = القرآن الحكيم اعجازه و بلاغته و علومه ص ٨٠ .

= ٢ = المصدر نفسه ص ٨٢ .

= ٣ = الاتقان في علوم القرآن ١١٩ / ٢ .

و منها انه لم يزل ولا يزال غضا طرياً في اسماع السامعين ، و على السئنة القارئين ، و منها ما ينتشر فيه عند تلاوته من انزال الله اياه في صورة كلام هو مخاطبة من الله لرسوله تارة ، و مخاطبة اخرى لخلقه ، لا في صورة كلام يستعليه من نفسه من قد قذف في قلبه ، و اوحى اليه ما شاء ان يلقيه الى عبادته على لسانه فهو ياتي بالمعنى التى الهمها بالفاظه التى يكسوها اياه ، كما يشاهد من الكتب المتقدمة ، و منها جمعه بين صفتى الجزالة و العذوبة و هما كالمتضادين ، لا يجتمعان غالباً في كلام البشر ، لان الجزالة من الالفاظ التى لا توجد الا بما يشوبها من القوة و بعض الوعورة ، و العذوبة منها ما يضافها من السلاسة و السهولة فمن هنا نحو الصورة الاولى فانما يقصد الفخامة و الروعة في الاسماع ، مثل الفصحاء من الاعراب ، و فحول الشعراء منهم ، و من هنا نحو الثانية قصد كون الكلام فى السماع اعذب و اشهى و الذى ، مثل اشعار المخضمين و من باناهم من المولدين المتأخرين ، و قرى الفاظ القرآن قد جمعت فى نظمه كلتا الصفتين ، و ذلك من اعظم وجوه البلاغة و الاعجاز " ١ .

و قال المراكشى فى شرح المصباح : الجهة المعجزة فى القرآن

تعرف بالتفكر فى علم البيان ، و هو كما اختاره جماعة فى تعريفه ما يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى ، و عن تعقيد و تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال ، لان جهة اعجازه ليست مفردات الفاظه و الا لكانت قبل نزوله معجزة ، و لا مجرد تاليفها ، و الا لكان كل تاليف معجزاً و لا اعرابها و الا لكان كل كلام معرب معجزاً ، و لا مجرد اسلوبه و الا لكان الابتداء باسلوب الشعر معجزاً و الاسلوب الطريق ، و لكان هذان مسيلمة معجزاً ، و لان الاعجاز يوجد بونه اى الاسلوب فى نحو فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً " فاصدح بما تؤمر " ٣ و لا بالصرف عن معارضتهم ، لان تعجبهم كان من فصاحته و لان مسيلمة

= ١ = القرآن الكريم اعجازه و بلاغته و علومه ص ٨٣ .

= ٢ = سورة يوسف الآية ٨٠ .

= ٣ = سورة الحجر الآية ٩٤ .

وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها فلم ياتوا الا بما تمجده الاسماع ، وتنفر منه الطباع ، ويضحك منه احوال تركيبية ، وبها ، اى بتلك الاحوال اعجز البلغاء ، واخرس الفصحاء ، فعلى اعجازه دليل اجمالى ، وهو ان العرب عجزت عنه وهو بلسانها ، فغيرها اخرى ، ودليل تفصيلي مقدمته التشكيري خاص تركيبه ، ونتيجته العلم بانه تنزيل من المحيط بكل شئ علما " ١ .

وقال جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (المتوفى عام ٩١١ هـ) " ان المعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهى اما حسية واما عقلية واكثر معجزات بنى اسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم واكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خست بالمعجزة العقلية الباقية لبراها ذوا البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم " ما من الانبياء بنى الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا او جاء الله الى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا " اخرجه البخارى .

قيل ان معناه ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدوا الا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة ، وخرقه العادة في اسلوبه و بلاغته واخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الاعصار الا ويظهر فيه شئ مما اخبر به انه سيكون يدل على صحة دعواه ، وقيل المعنى ان المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كفاية صالح وعما موسى ، ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون ممن يتبعه لاجلها اكثر ، لان الذى يشاهد بعين الرس ينقرض بانقراض مشاهدته والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الاول مستمرا ، ولا خلاف بين العقلاء ان كتاب الله تعالى معجز لم يقدر احد على معارضته بعد تحدىهم بذلك ، قال الله تعالى : وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه ما منه " ٢ .

فلو ان سماعه حجة عليه لم يقف امره على سماعه ولا يكون حجة الا هو معجزة ، وقال تعالى وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين ، اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، فاخبر ان الكتاب آيات من آياته كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الانبياء " ١ .

وقال الجاحظ (المتوفى عام ٢٥٥ هـ) " بعث الله محمد صلى

الله عليه وسلم اكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا واحكم لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وانها الى توحيد الله وتصديق رسالته فدعا هم بالحجة فلما قطع العذر وازال الشبهة ومار الذي يمنهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على هطهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم واعلامهم واعمالهم وبنى اعلامهم وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحا ومساء الى ان يعارضوه ان كان كانا بسورة واحدة او بآيات يسيرة فكلما ازاد تحديا لهم بها وتقريرا لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستورا وظهر منه ما كان خفيا فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له انت تعرف من اخبار الامم ما لا تعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ، قال فيها توها مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طبع فيه لتكلفه / لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيد ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم انه قد عارض وقابل وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء اصحابه وخطباء امتى ، لان سورة واحدة وآيات يسيرة كانت انقض لقوله وافسد لامره وابلغ في تكذيبه واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج من الاوطان وانفاق الاموال وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات ولهم القصيد العجيب والبرجز

الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنثور
ثم يتحدى به اقصاهم بعد ان اظهر عجز ادناهم " ١٠ .

آراء المعتزلة حول اعجاز القرآن

ظهرت آراء المعتزلة بعد ان اقبلت جماعة على دراسة كتب الفلسفة مما
وقع اليهم عن اليونان وغيرهم نبغت لهم شئون اخرى من الكلام ، فمزجوا بين تلك الفلسفة
اليونانية وبين الدين ، و تغفلوا في ذلك حتى خالف بعضهم بعضا فتفرقوا عشر فرق ،
واختلف بهذا آراؤهم في وجه اعجاز القرآن اختلافا يقوم بعضه على بعض ، حتى بعضهم
انكروا الاعجاز في القرآن ، فذهب ابو اسحاق ابراهيم النظام الى ان اعجاز القرآن
انما كان بالحرفة بمعنى ان الله حرف العرب عم معارضة القرآن مع قدر تهم عليها ،
وخلق فيهم العجز عن محاكاة في انفسهم والسنتهم ، ولو ان الله صرفهم عن ذلك
لاستطاعوا ان ياتوا بمثله .

مذهب اهل الصرفة والرد عليه

ابو اسحاق ابراهيم النظام كان هذا الرجل من شياطين اهل الكلام ، وهو
الذي بالغ في القول بالمصرفة حتى عرفت به ، وقال فيه اديبنا الجاحظ وهو تلميذه ،
وصاحبه واخبر الناس به ، " انما كان عيبه الذي لا يفارقه ، سوء ظنه وجودة قياسه
على العارض والظاهر والسابق الذي لا يوثق بمثله ، فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس
تصحيح الاصل الذي قاس عليه ، كان امره على الخلاف ، ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس
عليه وينسى ان بدء امره كان ظنا ، فانا اتقن ذلك و ايقن ، جزم عليه ، وحكاه عن
صاحبه حكاية المستبصر في صحه معناه ، ولكنه كان لا يقول سمعت ولا رأيت ، وكان
كلامه انا خرج مخرج الشهادة القاطعة لم يشك السامع انه حكى ذلك عن سماع قد امتحنه ٢٣ .

يقول مصطفى صادق الرافعي رحمه الله ، " ذهب شيطان المتكلمين ابو اسحاق ابراهيم النظام الى ان الاعجاز كان بالصرفة ، وهي ان الله صرف العرب عن معارضته القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقا للعادة .

و قال المرتضى من الشيعة : بل معنى الصرفة ان الله سلبهم العلوم التي يحتاج اليها في المعارضة ليجيئوا بمثل هذا القرآن ، فكانه يقول انهم بلغاء يقدرون على مثل النظم و الاسلوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته الفاظ القرآن من المعاني ، اذ لم يكونوا اهل علم ولا كان العلم في زمنهم ، ثم قال : وعلى الجملة فان القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه ان هو الاسحر يؤثر ، وهذا زعم ربه الله على اهله ، واكذبهم فيه ، وجعل القول به ضربا من العمى ، افسح هذا ام انتم لا تبصرون " ١ .

و خلاصة القول بالصرفة ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته على حين انه لم يتجاوز في بلاغته المستوى الذي يعجز عنه البشر ، ولو لا ان الله صرفهم عن معارضته " لاستطاعوا ان يأتوا بمثله فاصحاب هذا الفكر يذهبون الى ان القرآن ليس معجزا بذاته و انما كان اعجازه بسبب امرين :

الاول : - المارف الالهى الذى زهدهم في المعارضة . فكسلوا وقعدوا .
الثانى : - العارض المفاجئ الذى عطل مواهبهم البيانية وقد رتهم البلاغة .
و هذا القول - بشقيه - باطل ، لا يثبت امام البحث ، ولا يتفق مع الواقع و ذلك لعدة اسباب :

اولا : لو كان هذا القول صحيحا لكان الاعجاز في (الصرفة) لا في القرآن نفسه وهذا باطل بالاجماع .

ثانيا : لو صح القول بالصرفة لكان ذلك (تعجيزا) لا (اعجازا) ، لانه حينئذ

يشبه ما لو قطعنا لسان انسان ثم كلفناه بعد ذلك بالكلام ، فهذا ليس من باب العجز
وإنما هو من باب التعجيز .

ثالثا : لو كان هناك عرض مفاجئ عطل مواهبهم البيانية لا أعلنوا ذلك في الناس ،
ليتمسوا العذر لأنفسهم ، وبالتالي ليقبلوا من شأن القرآن ، و لكنوا بعد نزول القرآن
اقل فصاحة و بلاغة منهم قبل نزوله ، وهذا باطل واضح البطلان .

رابعا : لو كان هذا العارض المفاجئ صحيحا لا مكننا نحن الان و امكن المشتغلين
بالادب العربي في كل عصر ان يعارضوا القرآن ، و ان يتبينوا الكذب في دعوى اعجازه
و كل هذا الاشياء باطلة ، فهل يرضى عاقل لنفسه ان يقول بعد ذلك كله ، ان العرب
كانوا مصروفين عن معارضة القرآن و نبي القرآن ، و انهم كانوا مخلصين الى العجز
والكسل زاهدين في النزول لذلك الميدان ، و هل يصح لا انسان يحترم نفسه و عقله ان يصدق
بمثل هذا الافتراء القول بعد ان يستمع الى شهادة الدالاعدا من صناديد قريش وهو
(الوليد بن المغيرة) حين قال كلمته المشهورة : والله لقد سمعت آتفا كلاما ليس من
كلام بشر ليس بشعر ولا نثر ولا كهانة ، والله ان له لحلاوة ، و ان عليه لطلاوة و ان اعلاه
لمثمره ، و ان اسفله لمغنى ، و انه ليعلو وما يعلى ، و الفضل ما شهدت به الاعداء " ١
و هذا برهان ساطع لم يكن لهم فرار منه ، فان افكار الاعجاز القرآن لم
يقل به احد من المتأخرين .

و ما احسن بما ذكره العلامة القرطبي في تفسيره " الجامع للاحكام القرآن "
حيث قال : وهناك قول آخر ذكره النظام ان وجه الاعجاز هو المنع من معارضته ، و الصرفة
عند التحدى بمثله ، و ان المنع و الصرفة هو المعجزة دون ذات القرآن ، و ذلك ان
الله تعالى صرفهم عن معارضته مع تحد يهم بان يأتيوا بسورة من مثله وهذا فاسد ،
لان اجماع الامة ان القرآن هو المعجز ، فلو قلنا ان المنع و الصرفة هو المعجز لخرج ان
يكون معجز ٢٤ . ولا شك ان الاتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة احد من المخلوقين .

البَابُ الرَّابِعُ

اعجاز القرآن في القرن العشرين

(دراسة نقدية)

دراسة نقدية

لاعجاز القرآن فى القرن العشرين

ولعل مما يدهش له الباحث والطالب كثرة ما يجد من كتب والمولفات فى اعجاز القرآن فى القرن العشرين ، وكما زخرت المكتبة الاسلاميه بهذا الفيض من المولفات يسجل لنا التاريخ مجهود كثير من العلماء الذين اسهموا فى هذا المجال بما قدموه من بحوث ودراسات ومطالعة عميقة فى القرآن واعجازه .

و فى القرن العشرين قد وجهت انظار الباحثين والعلماء الى مقالات جديدة ، والى كتب قيمة فى اهمية الاعجاز فى القرآن الكريم ، وكلها تشهد بما فى القرآن من العلوم والمعارف ولا عجب فهو الكتاب الحكيم الذى لا يدانيه كتاب ولا يتناول الى بيانه بيان ،

العلماء الذين الفوا فى القرن العشرين كتباً قيمة فى هذا الموضوع منهم مصطفى ماذق الرافعى ، له كلمات رائعة فى هذا المجال فى الجزء الثانى من كتابه " تاريخ آداب العرب " وقد خصه بعد ذلك " باعجاز القرآن والبلاغة النبوة " والسيد رشيد رضا ، صاحب تفسير المنار ، والسيد قطب بعد هذا كله فى كتابه " التصوير الفنى فى القرآن " له تخريجات ذكية ، واستنباطات سديدة ، وافكار قاضجة فى هذا الموضوع ، ومحمد على الصابونى فى كتابه " التبيان فى علوم القرآن " له محاضرات فى علوم القرآن ، تبحث عن نزوله وتدوينه ، وجمعه واعجازه ، وعن التفسير والمفسرين مع رد شبهات المتشركين ، بأسلوب يجع بين الجدة والتحقيق ، والدكتور صبيحى الصالح فى كتابه " مباحث فى علوم القرآن " ونعيم الحمصى فى كتابه " تاريخ فكرة اعجاز القرآن " منذ البعثة النبويه حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق ، والدكتور عبد العظيم الزرقانى فى كتابه " مناهل المرفان فى علوم القرآن " والدكتور

عبد العليم الهندي (١) فى مقالته " تطور فكرة الاعجاز "، نشرها في مجلة الثقافة الاسلامية التى تصدر في الهند باللغة الانكليزية في العدد الاول والثانى من اعداد سنة ١٩٣٢ م

و خلاصة القول ان النهضة الادبية العربية في القرن العشرين قد وجهت علما هذا القرن وجهها تاما الى موضوع اعجاز القرآن ، واستنبطوا من القرآن مكتشفات واسرار و رموز جديدة ، و قد اشار اليه نعيم الحمصى اذ يقول : " و انحاز الى الفكرة من رجال الاصلاح الاسلامى السيد عبد الرحمن الكواكبي ، فاستخرج من القرآن مكتشفات حديثة يقول انه ورد التصريح او التلميح بها في القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا و بقيت خافية لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن .

و تعريف الاديب المصرى مصطفى مائق الرافعى لها في كتابه " اعجاز القرآن " وهو يجنح الى احتواء القرآن على جمل العلوم و اصولها اذ ينقل كلمة السيوطى فى الاتقان حول اخذ الباحثين علومهم منه و يعلق على استخراج علم المواقيت من القرآن فيقول : " و انا اطلق حساب الجمل في كلمات القرآن كشف منه كل عجائب العصور و تواريخها و اسرارها و لو لان هذا خارج عن غرض الكتاب لجئنا منه باشياء كثيرة من القديم و الحديث " ٢ . و يشير الرافعى الى استخراج محدثات الاختراع و غوامض علوم الطبيعة من القرآن و اكثر من جمع في هذا و اطال المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى في تفسيره ، و مما يتصل بهذا من قرب ما ظهر من مؤلفات علمية عنى اصحابها عناية خاصة بهذا الجانب و ترجع هذه الفورة في التفسير العلمى الى رد الفعل الذى احدثه الاتصال باوربا و امتزاج الثقافة الاوروبية الناضجة ، و ما بهر العلماء من علوم و مخترعات حديثة فحاولوا ان يرجعوا الى تراثهم الاسلامى العربى يستنبطون اصول هذه العلوم و خشوا اذا هم

= ١ = رئيس جامعة على كراه الاسلامية سابقا .

= ٢ = اعجاز القرآن ص ١٥١ .

لم يفعلوا ان يبدوا ان القرآن هثيلا في اعين متبعية و انصاره وان تترزع العقيدة فيه من قلوب الناس امام ما يرويه من معالم المدنية الحديثة فحاولوا ان يبينوا ان القرآن احتوى هذه العلوم و اشار الى هذه المخترعات قبل ان يعرفها اهلها انفسهم بثلاثة عشر قرنا و استفادوا في هذه الناحية من الكلمات و الجمل التي يمكن ان تتحمل تاويلات واسعة و هما في طبيعتها من امكان اتساع الخيال " ١ .

آراء علماء القرن العشرين في الاعجاز

قال مصطفى صائق الرافعي " اما الذي عندنا في وجه اعجاز القرآن وما حققناه بعد البحث و انتهينا اليه بالتأمل و تصفح الآراء و اطالة الفكر ، و ما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه و اطراد أسلوبه ثم ما تعاطينا ه لذلك من التنظير و المقابلة و ما نتج لنا من تتبع كلام البلغاء في الأغراض التي يقصد اليها و الجهات التي يعمل عليها و في رد وجوه البلاغة الى اسرار الوضع اللغوي التي مرجعها الى الابانة عن حياة المعنى بتركيبه من الالفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التاليف و احكام الوضع و جمال التصوير و شدة الملائمة ، حتى يكون اصغر شئ فيه كأكبر شئ فيه نقول ان الذي ظهر لنا بعد كل ذلك و استقر معنا .

ان القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الاعجاز على اطلاقه حين ينفي الا مكان بالعجز عن غير الممكن ، فهو امر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغا و ليس الى ذلك جهة ، و انما هو اثر كغيره من الآثار الالهية ، يشاركها في اعجاز الصنعة و هيئة الوضع .

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، و معجز في اثره الانساني ، و معجز كذلك في حقائقه ، و هذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الانسانية في شئ ، فهي

باقية ما بقيت وانما الاعجاز شيطان : ضعف القدرة الانسانية في محاولة المعجزة و مزاولته على شدة الانسان و اتصال عنايته ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن و تقدمه ، فكان العالم كله في العجز انسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت ، فيصير من الامر المعجز الى ما يشبه في الرأى مقابلة اطول الناس عمرا بالدهر على مداه كله ، فان المعمر نهر صغير ، وان لكليهما مدة في العمر هي من جنس الاخرى غير ان واحدة منهما قد استغرقت الثانية ، فان شاركها الصغرى الى حد فما عسى ان يشركها فيما بقي .

ويقول ايضا في منهب اهل الصرفه :

” و لم تر احدا فسر هذه الكلمة (الصرفه) كابن حزم الظاهري ، فانه قال في كتابه (الفصل) في سبب الاعجاز ، لم يقل احد ان كلام غير الله تعالى معجز ، لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له ، اصاره معجزا و منع من مماثلته ... قال : وهذا برهان كاف لا يحتاج الى غيره ، نقول : بل هو فوق الكفاية ، و اكثر من ان يكون كافيا ايضا ، لانه لما قاله ابن حزم وجعله رأيا له ، اصاره كافيا لا يحتاج الى غيره ، و هل يراد من اثبات الاعجاز للقرآن الا اثبات انه كلام الله تعالى .

و على الجملة فان القول بالصرفه لا يختلف عن قول العرب فيه : ان هو الا سحر يؤثر ، وهذا زعم ربه الله على اهله و اكذبهم فيه و جعل القول به ضربا من العمى (افسح هذا ام انتم لا تبصرون) فاعتبر ذلك بعضه بعضا فهو كالشئ الواحد ” .

قال محمد عبد العظيم الزرقاني : ” اعجاز القرآن مركب اضافي ،

معناه بحسب اصل اللغة ، اثبات القرآن عجز الخلق عن الاتيان بما تحداهم به ، فهو من اضافة المصدر لفاعله ، والمفعول و ما تعلق بالفعل محذوف للعلم به ، و التقدير اعجاز القرآن خلق الله عن الاتيان بما تحداهم به ، و لكن التعجيز المذكور ليس مقصودا لذاته ، بل المقصود لازمة وهو اظهار ان هذا الكتاب حق ، و ان الرسول الذي جاء

به رسول صدق ، و كذلك الشأن في كل معجزات الانبياء ، ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز ، و لكن لازمة وهو دلالتها على اهم صديقون فيما يبلغون عن الله ، فينتقل الناس من الشعور بعجزهم ازاء المعجزات الى شعورهم و ايمانهم بانها مادرة عن الاله القادر ، لحكمة عالية ، و هي ارشادهم الى تصديق من جاء بها ليسعدوا بتباعه في الدنيا والاخرة .

القرآن الكريم له وجوه كثيرة مختلفة من الاعجاز .

الوجه الاول : لغته و اسلوبه ، و بيان ذلك ان القرآن جاء بهذا الاسلوب الرائع الغلاب ، الذي اشتمل على تلك الخصائص العليا التي تحدثنا عنها :

الوجه الثاني : طريقة تاليفه :

و بيان ذلك ان القرآن لم ينزل جملة واحدة و انما نزل مفرقا منجما على

اكثر من عشرين عاما ، على حسب الوقائع و الدواعي المتجددة .

الوجه الثالث : علومه و معارفه :

و بيان ذلك ان القرآن قد اشتمل على علوم و معارف في هداية الخلق الى

الحق .

الوجه الرابع : وفاؤه بحاجات البشر :

و معنى هذا ان القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة ، تفي بحاجات

البشر في كل عصر و مصر .

الوجه الخامس : مو قف القرآن من العلوم الكونية .

و معنى هذا ان القرآن روعيت فيه بالنسبة الى العلوم الكونية اعتبارات

خسة ، لا يمد رها مثلها عن مخلوق ، فضلا عن رجل امي نشأ في الاميين ، و هو محمد

صلى الله عليه و سلم .

الوجه السادس : سياسته في الاصلاح :

و معنى هذا ان القرآن انتهج طريقا عجبا في اصلاحه ، و سلك سياسة

حكيمية وصل بها من مكان قريب الى ما اراد من هداية الخلق .

الوجه السابع : انباء الغيب منه :

و معنى هذا ان القرآن قد اشتمل على اخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد بها ، و لاسبيل لمثله ان يعلمها مما يدل دلالة بينة على ان هذا القرآن المشتمل على تلك الغيوب .

الوجه الثامن : آيات العتاب :

و معنى هذا ان القرآن سجل في كثير من آياته بعض اخطاء في الرؤى على الرسول صلى الله عليه وسلم .

الوجه التاسع : ما نزل بعد طول انتظار :

و معنى هذا ان في القرآن آيات كثيرة تناولت مهمات الامور ، و مع ذلك لم تنزل الا بعد تلبث و طول انتظار ، فدل هذا على ان القرآن كلام الله لا كلام محمد ، لانه لو كان محمد ما كان معنى لهذا الانتظار .

الوجه العاشر :

مظهر النبى عند هبوط الوحي عليه :

و بيان ذلك ان النبى كان في اول عهد بالوحي ، يتعجل في تلقفه ، و يحرك لسانه بالقرآن من قبل ان يفرغ امين الوحي من ابحاثه اليه ، و ذلك للاسراع بحفظه و الحرص على استظهاره حتى يبلغه للناس كما انزل .

الوجه الحادى عشر : آية المباهلة :

و ذلك ان القرآن دعا الى المباهلة ، و هى مفاعلة من الابتهاال و الضراعة الى الله بحرارة و اجتهاد فأبى المدعوون و هم النصارى من اهل نجران ، ان يستجيبوا لها و خافوها و لاذوا بالقرآن منها .

الوجه الثانى عشر : عجز الرسول عن الاتيان ببديل له :

و ذلك ان اعداء الاسلام طلبوا من النبى ان يأتى بقرآن غير هذا القرآن

او ان يبدله ، فلم يفعل ، و ما ذلك الا لان القرآن ليس كلامه ، بل هو خارج عن طوقه
آت من فوقه .

الوجه الثالث عشر : الايات التي تجرد الرسول من نسبتة اليه :
و ذلك انك تقرأ القرآن فتجد فيه آيات كثيرة ، تجرد الرسول محمد صلى
الله عليه وسلم ، من ان يكون له فيها حرفا او كلمة .

الوجه الرابع عشر : تاثير القرآن و نجاحه :
و معنى هذا ان القرآن بلغ في تاثيره و نجاحه مبلغا خرق به العادة في
كل ما عرف من كتب الله و الناس .

ذكر بعضهم وجوها اخرى للاعجاز ، و لكنها لا تسلم في نظرنا من طعن لان
منها ما يتداخل بعضه في بعض ، و منها ما لا يجوز ان يكون وجها من وجوه الاعجاز بحال ١ .
و قال محمد ابو زهرة في كتابه " المعجزة الكبرى القرآن " الامر

الاول ان الاساس في عجزهم هو ما فيه من بلاغة قول ، و نغمه بيان ادركوها بذوقهم
البياني ، وهم الذين يذوقون باسماعهم ، كما يذوق غيرهم الطعام بنفسه ، و انه لم يكن
عجزهم سلبيا ، بل كان من كثيرين منهم ايجابيا يتبعه العمل و يقترن بالايمان بانه من
عند الله تعالى اى ان وجه الاعجاز فيه امر ذاتي فيه ، و ليس منعا سلبيا ، الامر الثانى
الذى تدل عليه هذه الامور التى اقترنت بالعجز عن محاكاته هو ان القرآن مع بيانه
العالى الذى لا يعالى ، فيه من العلوم ما لم يكونوا يعرفونه ، فيه الحرائع المحكمة
التي تنظم العلاقات بين الاحاد الاقربين و غيرهم ، فيه علم الميراث ، و فيه علم الاحكام
المختصة بالاسر ، و فيه بيان خلق الانسان من سلالة من طين ، و فيه توجيه النظر الى
الكون و ما يشتمل عليه ، و فيه القصص و العبرة ، و ما كانوا يعلمون شيئا من ذلك
من قبل ، و فيه من الحقائق ما لا يعلمه الا اللطيف الخبير ، الذى خلق فسوى ، و الذى
احاط بكل شئ علما .

ثم قال و على ذلك تنقسم وجوه الاعجاز التي اشتمل عليها القرآن

الى قسمين :

القسم الاول : ما يتعلق بالمنهاج البياني ، وهذا النوع من الاعجاز اول من يخاطب به العرب ، لما ذكرنا في صدر كلامنا من انه جاء بلفتهم و لانهم كانوا بمقتضى بداوتهم مع استقامة تفكيرهم ، و مع وجود نبوءات سابقة فيهم ابقت بعض العلم ، وبمقتضى ثقافتهم اللسانية و عنايتهم بلفتهم كانوا اكثر الناس ادراكا لمعنى الاعجاز في القرآن من ناحية بيانه ، و نغمه و جزالته ، و كذلك كان الامر منهم ، و كانوا هم المخاطبين اولاه ، و بعجزهم قام البرهان الاول .

القسم الثاني : الاعجاز بما اشتمل عليه من ذكر لآخبار السابقين ، و لآخبار مستقبلية وقعت كما ذكر ، و اشتماله على علوم كونية و حقائق لم تكن معروفة في عصر محمد صلى الله عليه و سلم ، و قد اتى بها القرآن و تقررت حقائقها من بعد ، و كذلك ما اشتمل عليه من شرائع اثبت الوجود الانساني انها اصلح من غيرها و انها وحدها العادلة ، و ان هذا النوع معجزة للاجيال كلها " ١ .

يقول محمد على الصابوني في كتابه " التبيان في علوم القرآن " القرآن العظيم كلام الله المعجز للخلق ، في اسلوبه و نظمه ، و في روعته و بيانه ، و في علومه و حكمه ، و في تاثير هدايته ، و في كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية و لقد جاء العلماء في كشف اسرار البيان ، عن وجوه اعجاز القرآن بعد ان ثبت عندهم بالوجدان و البرهان ، و قد اجمع اهل العربية قاطبة ، و اهل اللسان منهم و البيان ، على ان القرآن (معجز بذاته) اى ان اعجازه انما كان بفصاحة الفاظه ، و روعة بيانه و اسلوب الفريد ، الذى لا يشابهه فيه اسلوب ، لامن نثر ، ولا من شعر ، و مسحة اللفظية الخلاصة التى تتجلى في نظامه الصوتى ، و جماله اللغوى ، و براعته الفنية " ٢ .

= ١ = القرآن الكريم اعجازه و بلاغته و علومه ص ٩٤ .

= ٢ = التبيان في علوم القرآن ص ٩٢ .

ويقول ايضا " الاعجاز في اللغة العربية نسبة العجز الى الغير ، و تسمى المعجزة (معجزة لان البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها ، لانها امر خارق للعادة ، خارج عن حدود الاسباب المعروفة ، واعجاز القرآن معناه : اثبات عجز البشر عن الاتيان بمثله و ليس المقصود من (اعجاز القرآن) هو تعجيز البشر لذات التعجيز اى تعريفهم بعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن ، فان ذلك معلوم لدى كل عاقل ، و انما الغرض اظهار ان هذا الكتاب حق ، و ان الرسول الذى جاء به رسول صادق ، و هكذا سائر معجزات الانبياء الكرام التى يعجز البشر عنها ليس الغرض منها الاظهار صدقهم ، و اثبات ان ما جاؤا به انما هو بوحى من الحكيم العليم " ١ .

قال عبد الرزاق نوفل : " اهتم المسلمون بوجه من اوجه اعجاز القرآن ، و هو بلاغته ، حيث نزل بلغة العرب في وقت كانوا فيه اصحاب الكلم و ارباب القلم فوجدوا فيه ما لا يستطيعون مجاراته و اجتمعوا فعجزوا على ان ياتوا بمثله ، او بمثل سورة منه ، او بآية ... حتى اصغرها بل ان تغيير وضع اللفظ لا يقيم للآية معناها و قد اتفق الباحث من اصحاب اللغة من العرب و المستشرقين في كافة الدول على ان القرآن في درجة من البلاغة ، لم يعهد مثلها في تراكيب اللغة و تقصر عنها درجات البلاغة ، و انه تعبير بلفظ عجيب لمعنى مناسب للمقام الذى يرد فيه اللفظ دون زيادة او نقصان .

و القرآن جاء فصيحاً على غاية الفصاحة في كل فن ترغيبا ترهيبا ... زجرا كان ام عطاء رحمة او عذابا

و من ادلة اعجاز القرآن البلاغى ، انه في اغلب المواضع يأتى بلفظ يسير يعبر عن معنى كثير ، فمثلا (و لكم في القصص حياة) الفاظ يسيرة ذات معان كثيرة ، ببلاغة غير منتهية الحد ، فالآية جمعت نقيضين ، القتل و الحياة ، و جعلت الموت

سببا للحياة .

و يمتاز القرآن عن غيره من المعجزات بانه معجزة ابدية ، فهو بين ايدينا كما كان في عهد اجدادنا يطاول الخلود . وهكذا انتهت معجزة الانبياء بانتهاء حياتهم فيما عدا الرسول محمدا الذي ظلت وستظل معجزته خالدة و حق لا يقال ان آيات القرآن انما نزلت في امر حدث ، او جوابا لمستخير يسأل و قد انتهى امره فناءت ارادة الله ان يوحى الى الرسول بموضع الآية نزوله ليظل معجزة الى ابد الآبدين " ١ .

يقول مناع القطان في كتابه " مباحث في علوم القرآن " : " الاعجاز اثبات العجز ، و العجز في التعارف اسم للقصور عن فعل الشئ وهو ضد القدرة ، و اذا ثبت الاعجاز ظهرت قدرة العجز ، والمراد بالاعجاز هنا : اظهار صدق النبي في دعوى الرسالة باظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة - و هي القرآن - و عجز الاجيال بعدهم .

و المعجزة : امر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة و القرآن الكريم تحدى به النبي العرب ، و قد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة و البلاغة ، و مقل هذا لا يكون الا معجزا ،

و الاعجاز لاسائر الامم على مر العصور ظل ولا يزال في موقف التحديها مخ الانف ، فاسرار الكون التي يكشف عنها العلم الحديث ما هي الا مظاهر للحقائق العليا التي ينطوى عليها سر هذا الوجود في خالقه و مدبره ، و هو ما اجمله القرآن او اشار اليه ، فصار القرآن بهذا معجزا للانسانية كافة .

فهو معجز في الفاظه و اسلوبه ، و الحرف الواحد منه في موضعه من الاعجاز بحيث لا يغنى عنه غيره في تماسك الكلمة ، و الكلمة في موضعها من الاعجاز في تماسك الجملة ، و الجملة في موضعها من الاعجاز في تماسك الآية .

وهو معجز في بيانه و نظمه ، يجد فيه القارى صورة حية للحياة و الكون
والانسان ، و هو معجز في معانيه التى كشفت الستار عن الحقيقة الانسانية و رسالتها
في الوجود ، و هو معجز بعلومه و معارفه التى اثبت العلم الحديث كثيرا من حقائقها
المفيسة .

و القرآن - اولا و آخر - هو الذى صير العرب رعاة الشاة و الغنم ساة
شعوب و قادة امم ، و هذا وحده اعجاز " ١ .

و يقول الدكتور صبحى الصالح في كتابه " مباحث في علوم القرآن "
" تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته ، و طاولهم في المعارضة ، و لكنهم انهزموا امام
تحديه ، و اعلنوا عجزهم عن تقليده ، لانه يعلمو و ما يعلمى ، و ما هو بقول بشر .
و لقد كان الاعجاز القرآنى خليقا ان يثير في الحياة الاسلامية مباحث
على جانب عظيم من الاهمية يتصدى بها العلماء للكشف على وجوه البلاغة القرآنية ، و
عن اسلوب القرآن الفذ في التصوير و التعبير ، و بذل اولئك العلماء جهودا مشكورة ،
و قاموا بمحاولات مضمينة ، لا يبراز البلاغة القرآنية في صورة موحية ذات ظلال ، و لكنهم
وقفوا غالبا عند النص الواحد ، فاقتطعوه اقتطاعا من الوحدة القرآنية الكبرى ، و
درسوه على حدة دراسة تحليلية جزئية ذهب بمعالم جمالها خلا فهم الذى لا يتناهى حول
مشكل اللفظ و المعنى ، فكانت النزعة الكلامية تفسد عليهم تذوقهم للنصوص ، و ادراكهم
مواطن البلاغة و الاعجاز .

و قال ايضا :

" ان هذا القرآن - في كل سورة منه و آية ، و في كل مقطع منه و فقرة

و في كل مشهد منه و قصة ، و في كل مطلع منه و ختام - يمتاز باسلوب ايقاعى غنى

بالموسيقى مملوء نغما ، حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب ان نفاضل فيه بين سورة و اخرى ، او نوازن بين مقطع و مقطع ، لكننا حين نومتى الى تفرد سورة منه بنسق خاص انما نقرر ظاهرة اسلوبية بارزة نؤيدها بالدليل ، مؤكدين ان القرآن نسيج واحد في بلاغته و سحر بيانه ، الا انه تنوع موسيقى الوجود في انغامه و الحانه " ١ .

يقول الشهيد سيد قطب في كتابه " التصوير الفني في القرآن "

" فتحدهم مرة ومرة : " قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات " " قل فاتوا بسورة مثله " و لكنهم لم يأتوا بعشر سور ولا بسورة مفردة ، ولم يحاولوا هذه المحاولة اصلا ، الا ما قيل من محاولة بعض المتنبيين بعد محمد ، و ليس هنا من الجد في شئ ، ولا يجوز ان يحسب له في هذا المجال حساب ، اما الرأي القائل بصرفهم عن المحاولة فليس له وزن يقام .

و لعل من تمام القول في هذا الفصل ، ان نثبت بعض الصور التي وردت

في القرآن لتأثيره في نفوس بعض الذين اوتوا العلم من قبله ، و بعض الذين صفت قلوبهم اليه ، جاء في صد الحديث عن اليهود و النصارى " لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و الذين اشركوا ، و لتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين و رهبانا ، و انهم لا يستكبرون ، و اذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آتينا مع الشاهدين " فتلك صورة من صور التأثير الوجداني لسماع القرآن ، و ان اعينهم لتفيض

من الدمع مما عرفوا من الحق فهو التأثير الذي يلهم الوجدان ، و يحرك المشاعر ، و يفيض الدموع ، يسمعه الذين تهياً و لايمان ، فيسارعون اليه خاشعين ، و يسمعه الذين يستكبرون عن الانعان ، فيقولون " ان هذا الاسحر مبين " ، او يقولون : " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " ، فيقرون بالاعجاز الغلاب من حيث لا يشعرون او يشعرون " ٢ .

= ١ = مباحث في علوم القرآن ص ٣٣٤ - ٢١٣ ص

= ٢ = التصوير الفني للقرآن ص ١٤ - ١٥ .

يقول احمد محمود سليمان في كتابه " القرآن و العلم " وليس القرآن

معجزا في جمال اسلوبه و دقة تصويره و تنسيق الفاظه و روعة بيانه فحسب بل ان هناك ناحية من نواحيه ظلت مختفية في زوايا الغموض اجبلا يمر الناس عليها مر الكرام ، لم يقدر و اجلالها لانهم لم يكشفوا ما خفى من سرها ، اذ هي فوق ما وصلوا اليه من علم و ما اكتسبوا من معرفة و لذلك كفت تراهم يؤولونها حسب ما هم عليه من علم و يتحاشون ظاهر معناها الواضح و يلجأون الى التعمق في تفسيرها حائدين عما تنبئ به لاول وهلة و ما تحمله الفاظها من معان وذلك لان ظاهر معناها كان بعيد التصور على عقولهم التي لم تصل بعد الى درجة من العلم تهيوها الى فهم ما ترى اليه هذه الآيات رغم نبوغهم و دقتهم التي تشير الاعجاب و جهولهم المشكورة في تفسير الفاظ من الكلمات و الايات . واليك مثلا لهذا تفسيرهم لكلمة (حـا) في الآية الكريمة (والارض بعد ذلك

بحاها) في سورة النازعات ، اذ لم يجرؤ احد من المفسرين ان يفسرها بمعناها اللغوى بل فسروها بمعنى (بسط) وهم معذرون في تحويرها عن معناها الاصلى ، و قد وقع مؤلفوا القواميس ايضا في نفس الخطأ فانا تصحف قاموسا صغيرا او كبيرا وجدتها على اختلاف نزعاتها و توسعها بعد ان تاتي على جميع معانى كلمة (حـا) و مشتقاتها تقول (والارض بعد ذلك بحاها) اى (بسطها) فهم يشتقون هذا المعنى من هذه الاية الكريمة فحسب و ليس لهم سند آخر غيرها ، اذ هم يعتبرونها المصدر الوحيد لهذا المعنى الذى يؤولونها به ولا تجد مصدرا آخر في استعمال العرب لها بهذا المعنى " ١ .

يقول نعيم الحمصى في كتابه " تاريخ فكرة اعجاز القرآن " والذى

اراه انا هو ان القرآن بميزات فيه ادركوا جمالها و عجزهم عن مثلها ، و من هذه المميزات ما يرجع الى اسلوب القرآن الغريب الذى جاء مخالفا لسايبهم في الكلام وهى المميزات الظاهرة الواضحة التي يمكن خدشا والاشارة اليها ، ومنها ما هو داخلى يدرك

بالذوق و يصعب بيانه و تعليله ، بل قد يكون متعذرا .

فمن هذه المميزات الواضحة الخاصة بأسلوب القرآن افتتاح آياته و سوره بما
لا عهد للعرب به ، كالحروف المتقطعة في أوائل السور ، فانها كالمفتاح الموسيقى للآيات
التي بعدها ، و توجيه الخطاب في مثل قوله : يا أيها الذين آمنوا : قل يا عبادي الذين
اسرفو على انفسهم ، و منها انتهاء هذه الآيات بفواصل موسيقية تنتهي بحرف ساكن قبله
حرف لين او بحرف لين قبله حرف صوتي مما يعطى ضربا مستعذبا خاصا من الموسيقى
و اما الشئ الداخلي المعجز في القرآن والذي يدرك بالذوق فهو انه قد
حوى صفات الادب الخالد و مميزاته ، و هذا ما جعل المتأخرين من العرب و من تعلموا
العربية يدركون اعجازه و يتذوقون جماله ، و هذا ما جعله لا يخلق على التكرار ، ولا
يسرع الملل الى قارئه مهما اعاده ، اذ لم يكن معارضا متحيزا او متحاملا ، هذه المميزات
التي تجعل منه ادبا خالدا تظهر في الفكرة العامة السامية التي يقول بها القرآن والتي
تجعل فيه وحدة موضوعية غائية تسعى للمثل الاعلى و تحقيق خير الانسانية و تظهر في
العاطفة الصادقة القوية العميقة التي تنبت فيه و يستشفها القارى له من ثنايا اية
وسورة وتثيرها التلاوة في نفسه فيشعر ان روحا قويا خفيا يحمله من عالم الارض لتلحق
به في عالم السماء و يدرك ان القرآن يفتح عينيه ليرى المثل العليا جليلة قريبة اذا
صم العزم على سلوك طريقها

هذه الصفات التي تجعل من القرآن ادبا خالدا هي التي انهلت عقول الجاهلين

فحاروا فيما يقولون فيه : اشعر هو ام سحر ، أم كلام بشر هو ام كلام فوق طاقة البشر ،
وهذه الصفات نفسها هي التي ساقط بعض علماء المسلمين لان يقولوا : ان القرآن معجز لان
الله يحيط بالالفاظ و المعاني فيقيد الالفاظ على اقدار المعاني فينتظم منهما ما يسحر
اللب و ياخذ بالقلب ، وهي التي ميزت من القرآن عن غيره من فنون الادب " ١ .

وقال ايضا :

ولا ارى الان بدا من القول بان فكرة الاعجاز عقيدة دينية مثل غيرها من العقائد التي لا يمكن ان يؤيدها برهان عقلى او حسي حاسم يكون له قوة البرهان الرياضى فيقنع الخصم المعاند ، وانها قائمة على القناعة الوجدانية فالجبة التي تقنع المناصر قد لا تقنع المنكر ، بل قد تزيده انكارا ، والمؤمن بفكرة الاعجاز يرى ان عجز العرب عن معارضته القرآن دليل على اعجازه و على رسالة الرسول على حين يرى من لا يؤمن بها ان عجزهم حينئذ دليل على ان النبى خيرهم بيانا و ليس دليلا على انه رسول الله و على ان القرآن كلام الله ، و ذلك كما لو عجز الناصر عن معارضة امرئ القيس من شعراء العرب او شكبير من ادباء الانكليز فان عجزهم لا يجعل من احدهما رسولا .

و لا شك في ان تذوق جمال القرآن الادبى يختلف من شخص الى آخر باختلاف عقيدته و ذوقه الفنى الادبى و منشئه و ميله ، و ليس من الممكن ان يتذوق الملحد و من لا يرى القرآن منزلا من عند الله حلاوة القرآن كما يتذوقها من يراه دستور الانسانية الخالد الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه و لامن خلفه " ١ .

العلماء في القرن العشرين و كتبهم في الاعجاز

(١) مباحث في علوم القرآن ١

هذا من اهم الكتب التي الفت في الاعجاز القرآني في القرن العشرين ، قد
الف هذا الكتاب الدكتور صبحي الصالح ، استاذ الاسلاميات فقه اللغة في كلية الآداب بالجامعة
الليبنانية .

و في هذا الكتاب يجد فيه القراء سلسلة من المحاضرات الجامعية تعالج ادق
المباحث القرآنية بأسلوب علمي بسيط يرضى انواق الطلاب و الباحثين .
الدكتور صبحي الصالح افرد الباب الاول ، بفصوله الثلاثة تحت العنوان
" القرآن والوحي "

اما الفصل الاول فهو يشتمل على اسماء القرآن و موارد اشتقاقها ، فهو
بين معنى الكتاب والقرآن و سر التسمية بهما ، و مذاهب العلماء في مدلول لفظ " القرآن "
اسماء القرآن ، مبالغة بعض العلماء في تعداد اسماء القرآن .
و انتقل في الفصل الثاني الى " ظاهرة الوحي " و يشتمل هذا الفصل على
عدة امور فهي كما تلي :

ظاهرة الوحي متماثلة عند جميع الانبياء و ادراك الوحي سهل في نظر الدين
المعنى اللغوي الاصلى لمادة الوحي و الایحاء ، تفسير الوحي من خلال قاموس الكتاب
المقدس و اختلاف مفهومه الخاص عن مفهوم الوحي العام - التفرقة بين الوحي والكشف نزول
الوحي على قلبه عليه السلام في كل لحظة ، انقطاع الوحي عنه ، عصمة الله لنبيه من
اذى الناس و ضمانه حمايته .

اعجاز القرآن للعرب و تحديده لهم ، و اخيرا بين المصنف كيف تلقى النبي
الوحي بحواسه كلها و اعيا كل الوعى انه عبد الله و رسوله الامين .

وفي الفصل الثالث قد ذكر الحكمة الالهية في تنجيم القرآن واسرارها ، و
تجدد النزول واثره في تهوين الشدائد، على النبي ، و يقول : الصبر الجميل هو الحكمة
المقصودة من تكرار قصص الانبياء ، و تيسير حفظ القرآن على النبي بنزوله نجوما ، و نزول
القرآن نجوما اعان الصحابة على حفظه و التفقه فيه ، و تدرج النزول في القرآن برهان
دافع على انه وحى يوحى .

وفي الباب الثاني يصف الباحث فيه تاريخ القرآن ، جمعه و كتابته بالتفصيل،
ولما نال لم يجمع الرسول القرآن كله في مصحف واحد ، و كيف جمع القرآن على عهد ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، اختلاف المسلمين في قراءة
القرآن ، احراق عثمان للمصاحف الفردية ، عدة مصاحف التي ارسل بها عثمان الى الاقاليم .
يقول المصنف : " وانتقلت في الباب الثاني الى تاريخ القرآن ، فوصفت
في فصوله الثلاثة - جمع القرآن و كتابته ، و رددت هنا على كثير من شبهات المستشرقين
والمستعجمين . و ناقشت موضوع الاحرف السبعة كما نطقت بها اصح الوثائق التاريخية ،
واظنني في بحث هذه الاحرف اثرت قضايا اسلامية خطيرة جدية بان يطلع عليها علماء
الاسلام ليلبوا خيبرها و شرها وارجوان لا يكون فيها الاخير ، و حين عرضت ، في احد فصول
هذا الباب ، لما طرأ على المصاحف العثمانية من وجوه التجويد والتحسين ، اضفت بعض
التحقيقات الجديدة التي انتهت اليها في نشأة الرسم القرآني و تطوره ، و ربما كانت
هذه الزيارات مفيدة للذين يشتغلون بتطور الخط العربي و يعملون على اصلاح رسمه " ١ .
و يتعلق الباب الثالث " بعلوم القرآن " و هذا الباب طويل جدا ، قسمه
بفصوله الثمانية ، و هذا استغرق اكثر من نصف الكتاب ، و كان لزاما ان يجئ الامر على
هذا النحو ، لانه هو سمي كتابه " مباحث في علوم القرآن " فلم يكن بد من ان تدور فصوله

• حول العلوم القرآنية •

وقد امتاز هذا الباب الثالث بكثير من التحقيقات ، و الزبائن الشافية

الكافية ، التي سيقدرها حتى قدرها كل من تيسر له ان يقرأ الكتاب في اولى طباعته •

اهمها هو القى فيه الضوء قويا ساطعا على معضلة الناسخ و المنسوخ •

الباب الرابع يتعلق بالتفسير والاعجاز القرآني ، هذا هو الباب الاخير

على التفسير و الاعجاز ، فبين نشأة التفسير و تطوره ، و اوضح كيف يتيسر تفسير القرآن

بالقرآن ، و استعرض الكتب التي الفت في اعجاز القرآن ، مثلا " نظم القرآن " للجاحظ ،

و اعجاز القرآن لمحمد بن زيد الواسطي و لعبد القاهر الجرجاني و لابي بكر الباقلاني

وغيرهم ، بعد ذلك هو يبين كيف تحدى القرآن مضار العرب ، ولكنهم انهزموا امام تحديه

و اعلنوا عجزهم عن تقليده •

وفي رأيه اول من تكلم بالاعجاز هو جاحظ الذي صنف " نظم القرآن " و يتكلم

فيه عن اعجاز القرآن • كما هو يقول : " ولعل الجاحظ (ت ٢٥٥) اول من تكلم على

بعض المباحث المتعلقة بالاعجاز في كتابه " نظم القرآن " و لم يملنا هذا الكتاب ، ولكن

للجاحظ نفسه اشارات الى هذا المصنف في كتابه " الحيوان " اذ يقول : " و لي كتاب جمعت

فيه آيا من القرآن لتعرف بها ما بين الايجاز والحذف ، و بين الزوائد والفضول و

الاستعارات فاذا قرأتها رأيت فضلها في الايجاز و الجمع للمعاني الكثيرة بالالفاظ

القليلة ، فمنها قوله حين وصف خمر اهل الجنة ، " لا يصدون عنها ولا ينفرون " ، و

هاتان الكلمتان جمعتا جميع عيوب خمر اهل الدنيا ، و قوله عز وجل حين ذكر فاكهة اهل

الجنة " لا مقطوعة و لا ممنوعة " جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني " ١ •

(٢) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١

هذا هو الكتاب الذى له مكان خاص بين الكتب التى الفت فى القرن العشرين

عن موضوع اعجاز القرآن .

ألا ديب مصطفى ماذق الرافعى الف هذا الكتاب و عرض فيه لشتى المذاهب
كما عرض فيه عدة آراء تتعلق بهذا البحث و ابدى رأيه ايضا و اخيرا يقدم رأيه الخاص
في الاعجاز .

هذا الكتاب احاط الموضوع و تجد فيه كل ما تريد تعرف عن اعجاز القرآن .

في اول الكتاب يبين المؤلف تاريخ القرآن بالتفصيل و جمعه و تدوينه ،
حكمة نزوله متفرقا ، مدة نزوله المشاورة فى جمعه ، الاختلاف فى القراءة ، كيفية جمع
القرآن و ترتيبه ، غريب القرآن ، اعراب القرآن ، الالفاظ المعربة ، و يذكر ايضا تاثير
القرآن فى اللغة ، نسق القرآن تطور اللغات بتطور اهلها ، اجتماع العرب على لغة القرآن
و اثر القرآن فى تهذيب الروح العربية ، و غيرها من المعلومات التى تعلق بهذا الموضوع .
و بعد ذلك يذكر صاحب الكتاب اهمية اعجاز القرآن فى كل زمان و مكان ،

وما معنى الاعجاز ، والا قوال فى الاعجاز ، ومع ذلك يبين مذاهب القدماء فى معنى الاعجاز
وتاريخ الكلام فى القرآن ، آراء المعتزلة ، الاعجاز بالصرفة ، و اشار الى آراء ابراهيم
النظام ، المرتضى الشيعى ، ابن حزم الظاهرى والجاحظ (هو يقول : " لما نجت آراء
المعتزلة بعد ان اقبل جماعة من شياطينها على دراسة كتب الفلسفة مما وقع اليهم عن
اليونان وغيرهم نبغت لهم شئون اخرى من الكلام ، فمزجوا بين تلك الفلسفة على كونها
نظرا صرفا ، و بين الدين على كونه يقينا محضا و تغلفوا فى ذلك حتى خالف بعضهم بعضا
بمقدار ما يختلفون فى الذكاء فتفرقوا عشر فرق ، و اختلف بهذا آراؤهم فى وجه اعجاز
القرآن اختلافا يقوم بعضه على بعض .

فذهب شيطان المتكلمين ابو اسحاق ابراهيم النظام الى ان الاعجاز كان
بالصرفة ، وهى ان الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف

خارقا للمادة قلنا وكأنه من هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن .

و قال المرتضى من الشيعة : بل معنى الصرفة ان الله سلبهم العلوم التي

يحتاج اليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن فكانه يقول انهم بلغوا * يقدررون على مثل

النظم والاسلوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته الفاظ القرآن من المعاني ، اذ لم

يكونوا اهل علم ولا كان العلم في زمنهم " ١ .

ويذكر المؤلف ايضا " عن المنكرين للاعجاز ومؤلفاتهم لاقي الاعجاز ، و

حقيقة الاعجاز ، و ما هو اسلوب القرآن ، ونظم القرآن ، وما حقيقة اعجاز النظم الموسيقي

والاعجاز المنطقي وغير ذلك .

حينما نطالع هذا الكتاب فظهر لنا تلك الافكار التي وردت فيه فهي كما بين

مخلصا نعيم الحمصي و نحن نذكر هنا مع التصرف :

(١) يبين الرافعي معنى الاعجاز فيقول : ضعف القدرة الانسانية في محاولة المعجزة و

مزاولته على شدة الانسان و اتصال عنايته ، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن

وتقدمه " ٢ .

(٢) يذكر الرجل الذي كان اول من طعن في الاسلام وهو لبيد بن الاعصم

و كيف جاءت و ظهرت فتنة خلق القرآن و ظهور طبقة المعتزلة ، فيقول : " كان اول ما ظهر

من الكلام في القرآن مقالة تعزى الى رجل يهودي يسمى لبيد بن الاعصم فكان يقول : " ان

التوراة مخلوقة ، فالقرآن كذلك مخلوق ، ثم اخذها عنه طالوت ابن اخته و اشاعها " ٣ .

(٣) يعرض لفكرة الصرفة و بعض الذين قالوا بها كالنظام و المرتضى و

ابن حزم والجاحظ ويرفضها .

= ١ = اعجاز القرآن والبلاغة النبويه ص ١٦٢

= ٢ = المصدر نفسه ص ١٥٦

= ٣ = المصدر نفسه ص ١٦٠

- (٤.) يتعرض لمذاهب مختلفة ، كالقول باعجاز القرآن من ناحية النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مقاطعه و فواصله و مطالعه ، وكالقول بانه في سلامة الالفاظ والقول بانه في خلوه من التناقض واشتماله على المعاني الدقيقة ، والقول بانه في اجتماع هذه الامور كلها ، وهو يرفض هذه الاراء جميعا .
- (٥) يذكر منهج عبد القاهر في الاعجاز وانه ليس السابق اليه بل تقدمه فيه الواسطي والرماني .
- (٦) ثم يذكر منهجا آخر يقول انه لطائفة من المتأخرين وهو في الحقيقة منهج يحيى بن حمزة اليمنى صاحب "الطراز " و اضرا به وهو القائل بان الاعجاز في فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني وحسن النظم .
- (٧) يذكر جماعة لمن ينكرون الاعجاز كعيسى بن صبيح المزمار واصحابه والحسينية .
- (٨) يقول : ان انكار الاعجاز لم يقل به احد من المتأخرين " ١ .
- (٩) يذكر تاليف الجاحظ " كتاب نظم القرآن " و يذكر نقد الباقلاني له وقد سبق هذا النقد ثم يذكر بعض الكتب التي ألفمت في الاعجاز لكتاب الواسطي الذي يعده اول هذه الكتب و كتاب الرماني و كتاب الباقلاني ويقول فيه ان المتأخرين اجمعوا على انه باب في الاعجاز على حدة ثم ينقد كتاب الباقلاني بما نقد به هذا الكتاب (كتاب الجاحظ) ٢ . ولا ينكر قيمة الكتاب من حيث وفاقه بكثير مما قصد اليه من امهات المسائل ، بعد ذلك يذكر ان من الفوا في الاعجاز على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما اليهما الامام الخطابي (المتوفى سنة ٣٨٨ هـ) والرازي فخر الدين (سنة ٦٠٦) و

= ١ = اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٦٧

= ٢ = نفس المصدر ص ١٢٠

ابن ابي الاصبع (ت ٦٥٤) والزميلكاني (ت ٧٢٧) ويقول : انها كتب اخذ بعضها من بعض^١ .
ثم يذكر كتاب ابن سراقه و يعده من اعجب الكتب التي سمع بها .
(١٠) ويتكلم بعد ذلك على التدرج في آيات التحدى وانه كان بالاكثرفا لاقول
وجواب المشركين على هذا التحدى بوصف القرآن والرسول بعده صفات ذكرها القرآن نفسه ،
ثم يذكر قول الجاحظ في كيفية تحدى القرآن للعرب وما دار فذلك من جدل .
(١١) و ينتقل من هذا الكلام على المخالفين الذين عارضوا القرآن ويذكر
بعضا من اخبارهم واقوالهم و هم سيلمة والاسود العنسي وطليحة ابن خويلد و سجاح بنت
الحارث والنضر بن الحارث ، ويذكر ممن اتهموا بالمعارضة ابن المقفع وابن سينا و
قابوس بن وشمكير وابن الراوندى والمتنبى والمعري و يدافع عن بعض هؤلاء المتهمين ، فيقول
الرافعي : وانما نسبت المعارضة لابن المقفع دون غيره من بلغاء الناس ، لان فتنة الفرق
الملحدة انما كانت بعده ، وكان البلغاء كافة لا يمترون في اعجاز القرآن وان اختلفوا في
وجه اعجازه ثم كان ابن المقفع متهما عند الناس في دينه فدفع بعض ذلك الى بعض ، ولو
كانت الزندقة فاشية ايام عبد الحميد الكاتب ، وكان متهما بها ، او كان له عرق في المجوسية
لما اخلته احدى الروايات من زعم المعارضة لانه زنديق ، ولكن لانه بليغ يصلح دليلا
للزنادقة . وزعم هؤلاء الملحدة ايضا ان حكم قابوس بن وشمكير^٢ .
هي من بعض المعارضة للقرآن ، فكانهم يحسبون ان كل ما فيه ادب و حكمة
وتاريخ واخبار فتلك سبيله ، وما ندرى لمن كانوا يزعمون مثل هذا ، و مثل قولهم : ان
القوائد السبع المسماة بالمعلقات هي عندهم معارضة للقرآن بفصاحتها^٣ .

= ١ = اعجاز القرآن والبلاغة النبويه ص ١٧٣
= ٢ = وهو شمس المعالي قابوس بن وشمكير المتوفى سنة ٤٠٣ هـ من ملوك الديلم على
جرجان و طبرستان وكان اديبا بالغ في وصفه الثعالبي صاحب اليتيمة وقد طبع بعض رسائله
في كتاب اسمه (كمال البلاغة) وهو رجل مسلم قوى الايمان وانما كذبوا عليه ، وبعض كلامه
جيد وبعضه لا قيمة له .

= ٣ = اعجاز القرآن والبلاغة النبويه ص ٢٠٤

(١٢) يذكر عجز العرب عن مجازاة القرآن لانهم كانوا يدركون في انفسهم

علو كعب القرآن عن متناولهم وذلك بقوة طبعهم و ذوقهم الفني .

(١٣) و يقدم بعد ذلك رأيه الخاص في سبب الإعجاز فيقول : ان اسلوب

الاديب نتيجة لمزاجه الخاص وان اعجاز القرآن في اسلوبه راجع الى انه ليس من مزاج

البشر ولو ذلك لاشبه اسلوبا من اساليب العرب او من جاء بعدهم الى هذا العهد ولهذا خلا

من التناقض ، ونلاحظ هنا ان الرافعي يجعل السبب مسببا والعلة معلولا فبدلا من ان يسعى

لاثبات ان القرآن من عند الله بان يعلل بانه انفرد عن اساليب العرب باسلوبه الخاص لانه

ليس وضعا انسانيا البتة ولو انه اثبت قبل ذلك ان اسلوب القرآن فوق طاقة البشر لكانت

طريقته صحيحة لا غبار عليها ، والقرآن في رأيه معجز ايضا بهذا الضرب الخاص من الموسيقى

اللغوية في انسجامه و اطراد نسقه واتزانه على اجزاء النفس مقطعا مقطعا ، ويذكر بهذه

المناسبة اثر موسيقى القرآن في نفس عمر بن الخطاب حين اسلم واثرها في نفس بعض

المشركين .

وخلاصة رأى الرافعي في هذا الموضوع ان القرآن معجز بهذه الموسيقى التي

فيه وبهذه الروح المستشفة من نظم القرآن والتي تخاطب الروح وهي ليست الفاظا ذات معنى

فقط بل هي حياة تضطرم وهي خلق روحي .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١

ومن اجل ما كتب في القرن العشرين عن علوم القرآن واعجازه ، ما كتبه

الاستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني كتابا سماه " مناهل العرفان في علوم القرآن "

جاء فيها باربعة عشر وجها لاعجاز القرآن بعضها تكرر لما قاله الاقدمون وبعضها قال

به الاقدمون ولكنه ضرب عليه امثلة جديدة او اجتهد فيه اجتهدا .

ومن اهم ما جاء في هذا الكتاب ان اختيار الالفاظ في القرآن يظهر فيه وجه

من الإعجاز من حيث ان اهل كل عصر يفهمونها بما يناسب تفكيرهم و يلائم ذوقهم .

يقول الزرقاني : " اننا نلاحظ في كثير من الفاظ القرآن انها اختيرت اختيارا يتجلى فيه وجه الاعجاز من هذا الاختيار ، وذلك في الفاظ التي نمر بها على القرون والاجيال منذ نزل القرآن الى اليوم فاذا بعض الاجيال يفهم منها ما يناسب تفكيره ، ويلائم ذوقه ويوائم معارفه ، واذا اجيال اخرى تفهم من هذه الفاظ عينها غير ما فهمته تلك الاجيال ولو استبدلت هذه الفاظ بغيرها لم يصلح القرآن لخطاب الناس كافة ، وكان ذلك قدحا في انه كتاب الدين الخالد ، وستور البشرية في كل عصر ومصر ، فسبحان من انزل هذا القرآن مشبعا لحاجات الجميع ، وافيا تجارب الجميع ، ملائما لاذواق الجميع ، متفقا ومعارف الجميع مما يدل دلالة واضحة على انه كلام الله وحده " ١ .

ومن اهم ما جاء في هذا الكتاب لوجوه اسلوب القرآن واعجازه الامور الاربعة

التالية :

(١) النظام الصوتي : وهو لا يسأم سامع القرآن ولا يمل لانه ينتقل فيه

دائما بين الحان متنوعة وانغام متجددة وقد سبقه الى القول بها الباقلاني والجاحظ وغيرهم .

ويقول المؤلف في النظام الصوتي : وهذا الجمال الصوتي او النظام التوقيعي

هو اول شئ احسته الاذان العربية ايام نزول القرآن ، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منشور الكلام ، سواء اكان مرسلا او مسجوعا حتى خيل الى هؤلاء العرب ان القرآن شعر ، لانهم ادركوا في ايقاعه و ترجيعه لذة ، لم يعرفوا شيئا قريبا منها الا في الشعر " ٢ .

(٢) ارضاء القرآن للخاصة والعامة ، ومعنى هذا ان القرآن الكريم اذا قرأته

على العامة او قرئ عليهم ، احسوا جلاله ، وذاقوا حلاوته وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضى عقولهم وعواطفهم وكذلك الخاصة اذا قرئ عليهم ، احسوا جلاله وذاقوا حلاوته و فهموا منه اكثر ما يفهم العامة .

= ١ = مناهل العرفان في علوم القرآن ص ٢٠٤ .

= ٢ = نفس المصدر ص ٢٠٦ .

(٣) ارضا القرآن للعقل والعاطفة ، ومعنى هذا ان اسلوب القرآن يخاطب

العقل والقلب معا ، ويجمع الحق والجمال معا ،

والمؤلف يستمد هذه النقطة من عناصر البلاغة كما يفهمها الادباء المعاصرون .

(٤) جودة سبك القرآن واحكام سرده اى منسوجة متداخلة حلقاتها بعضها فى

بعض ، ومعنى هذا ان القرآن بلغ من ترابط اجزائه وتمسك كلماته وجمله وآياته وسوره ،

مبلغا لا يدانيه فيه اى كلام آخر ، مع طوال نفسه وتنوع مقاصده فالجملة فيه واضحة مع

احتمالها عدة معان اخرى فى الموضوع الواحد .

يقول المؤلف : واية ذلك انك انا تأملت فى القرآن الكريم وجدت منه

جسما كاملا تربط الاعصاب والجلود و لمحت فيه روحا عامة يبعث الحياة والحر على تشابك

وتساند بين اعضائه فاننا هو وحدة متماسكة متألفة على حين انه كثرة متنوعة متخالفة

فبين كلمات الجملة الواحدة من التآخي والتناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجانس

وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة يعرف هذا الترابط

فى القرآن كل من القى باله الى التناسب الشائع فيه ، من غير تفكك ولا تخاذل ولا تنافر

بينما الموضوعات مختلفة متنوعة " ١ .

و من اهم وجوه الاعجاز التى ذكرها المؤلف كما يلى :

(١) لغة القرآن واسلوبه على نحو ما فصلت قبله ، وهو ان القرآن جاء

بهذا الاسلوب الرائع الخلاب وبلغه مرت عليها من عهد نزول القرآن الى عصرنا هذا ،

ادوار مختلفة بين علو ونزول والقرآن فى كل هذه الادوار واقف فى عليائه .

(٢) طريقة تاليف القرآن وهى ان القرآن لم ينزل جملة واحدة وانما

نزل مفرقا على اكثر من عشرين عاما ، على حسب الوقائع والدواعى المتجددة وفى رأى

المؤلف القرآن الكريم تنطق طريقة تاليفه بانه لا يمكن ان يكون ما دراهم لمن له

السلطان الكامل على الفلك ودورته والعلم المحيط بالزمن وحوادثه والبقاء السرمدي حتى يبلغ مراده و ينفذ مشيئته ذلكم الله وحده الذي يدبر الامر من السماء الى الارض .
(٣) علوم القرآن ومعارفه وهداياته ومعنى هذا ان القرآن قد اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق الى الخلق . وهنا يقارن المؤلف بين الاسلام والمسيحية واليهودية في عقيدة الايمان بالله وفي عقيدة البعث والجزاء .

يقول المؤلف : " هذا هو التنزيل الحكيم تقرأه فاذا بحر العلوم والمعارف متلاطم زاخر ، وانا روح الاصلاح فيه قوى قاهر ثم اذا هو يجمع الكمال من اطرافه فتراه يصلح ما افسده الفلاسفة بفلسفتهم اذ تراه يهدم ما تردى فيه الوثنيون بشركهم وتراه يصحح ما حرفه اهل الاديان في ديانا تهم اذا تراه يقدم للانسانية مزيجا صالحا من عقيدة راشدة ترفع همة العبد وعبادة تطهر نفس الايمان واحكام شخصية ومدنية واجتماعية تكفل حماية المجتمع من الفوضى والفساد كل ذلك في قصد واعتدال وببراهين واضحة مقنعة تبهر العقل وتملك القلب " ١ .

(٤) وفاء القرآن بحاجات البشر جمعا ، والمولف يريد يقول ان القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر ، وفاء لا تظفر به في اى تشريع ولا في اى دين اخر ، وهذا صحيح ، ويتجلى لنا هذا اذا استعرضنا المقاصد النبيلة التي رمى اليها القرآن في هداية المخلوق في كل زمان ومكان

(٥) موقف القرآن من العلوم الكونية ؛ والمولف لا يريد ان يجعل استنباط العلوم الكونية من القرآن دليل اعجازه لان هذه العلوم تتغير نظرياتها باستمرار ولاكنه يعتقد ان هذه العلوم اذا ثبتت حقائقها امكن حينئذ ان تستنبط من القرآن او تطبق عليه ،

يقول المؤلف : " تبين لنا ان العلوم الكونية خاضعة لطبيعة الجزر و المد ، وان ابحاثا كثيرة منها لا تزال قلقة خسرة بين اثبات ونفى ، فما قاله علماء الهيئة بالامر ينقضه علماء الهيئة اليوم ، وما قرره علماء الطبيعة فى الماضى يقرره غيره علماء الطبيعة فى الحاضر ، وما اثبتته المؤرخون قديما ، ينفيه المؤرخون حديثا وما انكره الماديون واسرفوا فى انكارهم باسم العلم ، اصبحوا يثبتونه وبسرفون فى اثباته باسم العلم ايضا ، الى غير ذلك كما زعزع ثقتنا بما يسمونه العلم ، وما جعلنا لا نطمئن الى كل ما قرروه باسم هذا العلم " ١ .

(٦) سياسة القرآن فى الاملاح وهى تتمثل بالتدرج فى التشريع و حسن

الدعوة الى الاسلام بالموعظة الحسنة .

والمؤلف يريد بهذا ان القرآن انتهج طريقا عجبا فى اصلاحه ، وسلك

سياسة حكيمية وصل بها من مكان قريب الى ما اراد من هداية الخلق ، مما يدل بوضوح

على ان القرآن فى سياسته هذه لا يمكن ان يصدر عن نفس محمد ولا غير محمد .

(٧) انباء الغيب فى القرآن :

و معنى هذا ان القرآن قد اشتمل على اخبار كثيرة من الغيوب التى لا يعلم

محمد ، ولا سبيل لمثله ان يعلمها مما يدل دلالة بيينة على ان هذا القرآن المشتمل على

تلك الغيوب ، كما يقول المؤلف : من ذلك قصص عن الماضى البعيد و قصص عن الحاضر الذى

لا سبيل لمحمد الى رؤيته و معرفته فضلا عن التحديث به ، و قصص عن المستقبل الذى انقطعت

دونه الاسباب و قصرت عن ادراكه الفراسة والذكاء ، وانه ان اخبر عن غيب الماضى

صدق ما شهد به التاريخ ، وان اخبر عن غيب الحاضر صدقه ما جاء به الانبياء ،

وما يجد فى العالم من تجارب وعلوم ، وان اخبر عن غيب المستقبل صدقه ما تلده الليالى

وما تجيئ به الايام ١٠

(٨) عجز الرسول عن الاتيان بمثل القران :

بين المؤلف هنا ان اعداء الاسلام طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم

ان يأتى بقران غير هذا القران او ان يبدله ، فلم يفعل ، لان القران ليس كلامه

بل هو خارج عن طاقته ، آت من فوق ولو كان كلام محمد صلى الله عليه وسلم

استطاع ان يأتى بغيره وان يبدله ، لكنه اعلن عجزه عن اجابة هذه المقترحات ،

قال الله تعالى : وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله ، قل

ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ، ان اتبع الا ما يوحى لى ، انى اخاف ان عصيت

ربى عذاب يوم عظيم ٢٠

فوق

والمعنى ان القران/طاقتى وليس من مقدورى ، وما انا الا ناقل له

اتبع ما يوحى الى منه .

(٩) تاثير القرآن في نفوس اعدائه واتباعه و نجاهه .

يأتى المؤلف بشبهات يوردها المناهضون لاعجاز القرآن على الاسلوب وغير

الاسلوب وينقضها واحدة واحدة ، و معنى هذا عند المؤلف ان القرآن بلغ في تاثيره و نجاهه

مبلغا خرق به العادة فى كل ما عرف من كتب الله والناس ، وبيان ذلك ان الاصلاح العام

الذى جاء به القرآن والانقلاب العالمى الذى تركه هذا الكتاب ، ما حدث ولم يكن ليحدث

فى اى عهد من عهود التاريخ قديمة وحديثة الا على اساس من الايمان العميق القائم على

وجدان قوى .

يقول المؤلف : هذا التاثير الخارق او النجاح الباهر الذى نتحدث فيه ،

= ١ = مناهل العرفان في علوم القرآن ص ٢٦٣ .

= ٢ = سورة يونس الآية ١٥ .

ادركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وامعان ونصفة ، حاذقا لاساليبه العربية ملما بظروفه واسباب نزوله ، اما الذين لم يحذقوا لفظة العرب ولم يحيطوا بهذه الظروف والاسباب الخاصة ، فيكفيهم ان يسألوا التاريخ عما حمل هذا الكتاب من قوة غيرت صورة العالم " ١ .

(٤) التصوير الفني في القرآن ٢ .

هذا الكتاب الذي الف سيد قطب في موضوع القرآن في القرن العشرين ، له مقام خاص ما بين الكتب المؤلفة في موضوع القرآن ، ولم يؤلف كتابا خاصا في موضوع الاعجاز و لكن كتابه المذكور يتعلق بالاعجاز اذ يشعر الطالب بعد مطالعة هذا الكتاب انه يؤمن بالاعجاز ايمانا عميقا ، و يظهر اعتقاده بالاعجاز صراحة في بعض مقاطع من كتابه اذ يقول : " فتحدهم مرة ومرة ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات " ٠٠٠ قل فأتوا بسورة مثله ٠٠٠٠٠ ولكنهم لم يأتوا بعشر سور ولا بسورة مفردة ولم يحاولوا هذه المحاولة اصلا ، الا ما قيل من محاولة بعض المتنبيين بعد محمد ، وليس هذا من الجسد في شئ ، ولا يجوز ان يحسب له في هذا المجال حساب اما الرأي القائل بصرفهم عن المحاولة فليس له وزن يقام .

ولعل من تمام القول في هذا الفصل ، ان ثبت بعض الصور التي وردت في القرآن لتأثيره في نفوس بعض الذين اوتوا العلم من قبله ، وبعض الذين صنعت قلوبهم اليه ، جاء في صدد الحديث عن اليهود والنصارى ، لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قيسين وrehbانا وانهم لا يستكبرون ، واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آتينا فاكذبنا مع الشاهدين " فتلك صورة من صور التأثير

= ١ = مناهل العرفان في علوم القرآن ص ٣٠٣ .

= ٢ = الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر

الوجداني لسماع القرآن وان اعينهم لتفويض من الدمع مما عرفوا من الحق ، ١٠ . وقال ايضا حينما يتكلم على اثر القرآن في سامعيه .

فهو التأثير الذي يلهم الوجدان ، ويحرك المشاعر ، و يفيض الدموع ، يسمعه الذين تهيأوا للايمان فيسارعون اليه خاشعين و يسمعه الذين يستكبرون عن الانعان ، فيقولون : ان هذا الاسحر مبين ، او يقولون " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " فيقرون بالاعجاز الغلاب من حيث لا يشعرون او يشعرون " ٢٠ .

وهذه العبارات تبين لنا بوضوح كامل انه يسعى الى البراهين على اعجاز القرآن من حيث يتكلم على مميزاته الفنية الاولى ، فكانه يريد ان يتحدث عن الاعجاز تحت عنوان آخر .

و يرى المؤلفان منابع سحر القرآن الاخرى التي يتحدث عنها غيره من المؤلفين والعلماء ليست شيئا بالنسبة الى هذا المنبع خصه المؤلف بعنايته وهو التصوير الفني .

يقول : بعض الباحثين في مزايا القرآن ينظر الى القرآن جملة ثم يجيب ، و بعضهم يذكر غير النسق الفني للقرآن اسبابا اخرى يستمدّها من موضوعاته بعد ان صار كاملا من تشريع دقيق صالح لكل زمان ومكان ، و من اخبار عن الغيب يتحقق بعد اعوام ، و من علوم كونية في خلق الكون والانسان الى ان يقول : " هذا القرآن يصف اثره في نفوس المسلمين به ، و نفوس الذين اوتوا العلم من قبله ، بانه " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله و اذا تتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا " وهؤلاء كفار قريش يقولون في لجاجة الانكار " اساطير الاولين ، اكتبها

= ١ = التصوير الفني في القرآن ص ١٤ .

= ٢ = المصدر نفسه ص ١٥ .

فهي تملأ عليه بكرة واصيلا ، ثم يعمد واحد منهم هو النضر بن الحارث ، الى اساطير من قصص الاولين ، قصص اسفند يار و رستم " الفارسية الاصل ، فيتلوها على الناس فسي المسجد حينها يتلو محمد هذا القرآن ، ليصرفهم عن محمد وعن القرآن ، وانهم لا ينصرفون ثم ها هم اولاء كفار قريش لا يجدون في هذا كله جدوى ، فيقولون " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " ١ .

والى جانب هذه السمات التي اسار اليها المؤلف هي سحر القرآن الفني المرادف في الحقيقة لاعجاز القرآن يعتقد المؤلف بان تكرار القرآن اكثر قصصه في صور مختلفة هو ضرب من الاعجاز .

وناخذ النتيجة من هذا كله ان المؤلف لا ينكر اعجاز القرآن من حيث التشريع والاخبار عن الغيب والعلوم الكونية ، ولكنه يرى ان اعجاز القرآن قائم على الابداع في العرث والجمال في التنسيق والقوة في الالاء .

(٥) التبيان في علوم القرآن » ٢ .

و من الفوا في الاعجاز في القرن العشرين على وجوه مختلفة منهم الاستاذ محمد على الصابوني : الاستاذ بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ، وهو الف كتابا المسمى التبيان في علوم القرآن ، هذا الكتاب يشتمل على محاضرات في علوم القرآن تبحث عن نزوله وتدوينه ، وجمعه واعجازه ، وعن التفسير والمفسرين ، مع رد شبهات المستشرقين ، بأسلوب يجمع بين الجدة والتحقيق .

يقسم المؤلف هذا الكتاب الى تسعة فصول :

الفصل الاول : علوم القرآن : وفيه يذكر المؤلف " تعريف القرآن " فضائل القرآن

ما المقصود بعلوم القرآن ، متى ابتداء نزول القرآن .

الفصل الثاني : اسباب النزول ، وفيه يذكر معرفة اسباب النزول فوائده معرفة اسباب

= ١ = التصوير الفني في القرآن ص ٢٤ .

= ٢ = الطبعة الاولى سنة ١٣٧٠ م دار الارشاد ببيروت .

النزول وما هو سبب النزول و كيف يعرف سبب النزول و غير ذلك .

الفصل الثالث : حكمة نزول القرآن مفرقا و فيه يبين المؤلف كيف نزل القرآن ،
وما هي حكمة نزول القرآن مفرقا كيف تلقى النبي القرآن .

الفصل الرابع : جمع القرآن : وفي هذا الفصل يذكر كيف جمع القرآن في عهد النبوة
و ما هي طريقة الكتابة و يبين بالتفصيل كيف جمع القرآن في عهد ابي بكر و في عهد
عثمان و ما هو السبب الذي يحرض عثمان على جمع القرآن .

الفصل الخامس : التفسير والمفسرون : وفيه بين ما هو الفرق بين التفسير و
التاويل ، و كم اقسام التفسير ، التفسير بالرواية ، التفسير بالمصابة ، اشهر المفسرين
من المصابة .

الفصل السادس : اعجاز القرآن : فيه ثبت المؤلف ان القرآن معجزة محمد الخالدة
وبين معنى اعجاز القرآن ، و كيف يتحقق الاعجاز و اسلوب القرآن في التحدى ، شروط المعجزة
الالهية ، مذهب اهل الصرف في الاعجاز ، آراء العلماء في الاعجاز ، وجوه اعجاز القرآن
الكريم .

الفصل السابع : معجزات القرآن العلمية : فيه يذكر بعض المعجزات العلمية مثلا
وحدة الكون ، نشأة الكون ، تقسيم الذرة وغير هذا .

الفصل الثامن : المفسرون من التابعين :

الفصل التاسع : نزول القرآن على سبعة احرف والقراءات المشهورة ، في هذا الفصل
الاخير يذكر ادلة نزول القرآن على سبعة احرف والحكمة على نزوله على سبعة احرف ، و
يذكر بعض الشبهات والرد عليها .

ومن اهم ما ذكر المؤلف عن اعجاز القرآن هو شبهات حول اعجاز القرآن

والرد عليها ، و مذهب اهل الصرف والرد عليه ايضا ، يقول المؤلف : يقول اعداء

الاسلام في معرض الطعن في القرآن ، و في نبي القرآن ، ان محمد قد تلقى هذا القرآن

من (بحير الراهب) و نسبه الى الله ليوهم البشر قدسيته ، والجواب ان هذه قزية ما فيها مزية ، وهؤلاء الخبثاء من الصليبيين واعوانهم من الملاحدة ، انما يروجون مثل هذه الاباطيل ليشوشوا على المثقفين من ابناء المسلمين دينهم و يفسدوا عليهم عقائدهم بامثال هذه الشبهات و الافتراءات " ١ .

و يذكر بعد ذلك عدة دلائل و يبطل دعوى المشركين بالبراهيسن والحجج الدافعة التي لا يمكن لاحد ان يكذبها .

و يذكر الشبهة الاخرى ويقول : " يقول المشركون ان عجز البشر عن الاتيان بمثل هذا القرآن لا يبدل على انه كلام الله ، وما هذا الا كمثل عجزهم عن الاتيان بمثل (الكلام النبوى) فهل يكون كلام الرسول من عند الله ، او يقال انه كلام الله .

والجواب : ان الحديث النبوى ان عجز عامة الناس عن الاتيان بمثله فلن يعجز احد الخاصة عن الاتيان بمثل بعضه ، ولو بقدر حديث واحد او سطر واحد من كلامه و كلام الرسول وان كان فى الذروة العليا ، من الفصاحة والبلاغة الا انه لا يخرج عن كونه كلام بشر ، وقد يشتبه كلام البشر بعضهم مع بعض ، حتى لنجد تشابها بين كلام النبوة و كلام بعض الخواص من الصحابة و نسمع الحديث فيشتبه علينا امره ، الى ان يقول : " و من ناحية ثانية لو كان هذا القرآن من تاليف محمد لكان ينبغى ان يكون الاسلوب فى (القرآن والسنة) واحدا ضرورة انها صادران عن شخص واحد ، استعدادا واحدا ، ومزاجا واحدا ، مع اننا نجد الفرق بينهما واضحا ، فالسبب القرآن ضرب وحدة تظهر عليه سمات الالهية والربوبية التى تجل عن المشابهة والمماثلة ، بل هو مخلق فى جوالبيان بقدر الاساليب البشرية الرفيعة ، ولا يستطيع بحال ان يصعد الى سماء اعجاز القرآن ، وهذا يدركه كل انسان اذا ما قارن بين الاسلوبين باسطة نظرة و صدق الله حيث يقول : ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمدد من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله

ان الله عزيز حكيم . و صدق الله : قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان يأتوا بمثل

هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " ١ .

(١) تاريخ فكرة اعجاز القرآن " ٢ "

من اهم من كان لهم كلام في موضوع الاعجاز في القرن العشرين ، اولهم صلة

به نعيم الحمصى : هذا اول كتاب في القرن العشرين الفعن تاريخ فكرة اعجاز القرآن

مع نقد و تعليق ، يقول المؤلف عن هذا الكتاب " هذا الكتاب يضم بين دفتيه مقالة كنت

نشرتها نجوما في مجلة المجمع العلمى العربى بعنوان " تاريخ فكرة اعجاز القرآن " و هو

عنوان اكبر مما يستحقه جهدى ، ولعل تسميتها ب " محاولة في تاريخ فكرة الاعجاز " كانت

اكثر موافقة للحق و انطباقا على الواقع " ٣ .

الاستاذ نعيم الحمصى جمع في هذا الكتاب و لخص ما كتبه العلماء منذ

البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر (القرن العشرين) و استعرض استعمال كلمتى معجزة و

اعجاز ، مفسرا لهما لغة و اصطلاحا ، مشيرا الى انهما بمعنى ما ورد في القرآن من الآية

و البرهان و السلطان ، يقول المؤلف : " و لم يرد في القرآن لفظ معجزة او اعجاز وانما

جاء فيه الفاظ آية و برهان و سلطان و هذه الكلمات لا ترادف كلمة معجزة ، ولا تشمل معنى

الاعجاز المفهوم منها ، و انما تدل على جزء من معناها الذى يشمل اكثر من معنى جزئى

واحد . و هذا الجزء يقابل كلمة الدليل او الحجة ، بمعنى ان حادثة من الحوادث معنى

دليل نبوة احد الانبياء ، او دليل الالهية ، ولا يدل على اكثر من ذلك ، اما كلمة معجزة

فتدل على امر خارق للعادة يكون دليلا على نبوة احد الانبياء دون غيره ، و يعجز غيره من

الخلق عن الاتيان بمثله " ٤ .

= ١ = التبيان في علوم القرآن ص ١٥٦ .

= ٢ = الطبعة الاولى دمشق سنة ١٩٥٥ .

= ٣ = تاريخ فكرة اعجاز القرآن ص ١٠ .

= ٤ = نفس المصدر ص ٣ .

وكتب المؤلف تحت عنوان (المعركة الفكرية الكلامية بين القرآن والعرب) صفحات كثيرة ، تشمل تحدى الرسول لقومه بهذه المعجزة القرآنية ، و ما كان من انكارهم لها .
وضع السنان مكان الحجة و البرهان ، و هنا يظهر استقلال المؤلف عن جمهرة القائلين بأن العصر الجاهلى هو اكثر عصور الأئبازدهارا ، فاذا عجز اهله عن محاكاة القرآن فغيرهم اعجز ، و يرى انهم كانوا فى مرحلة تمهيدية لمن جاء بعدهم من الكتاب و الشعراء و الخطباء فى العصرين الاموى و العباسى .

بعد ذلك انشأ فضلا تحت العنوان " رأى فى اعجاز القرآن " ، وجاء فى اوله والذى اراه انا هو ان القرآن باعثهم بمميزات فيه ادركوا جمالها و عجزهم عن مثلها ، و من هذه المميزات ما يرجع الى اسلوب القرآن الغريب الذى جاء مخالفا لسايبهم فى الكلام و هى المميزات الظاهرة الواضحة التى يمكن حدها و الاشارة اليها " ١٠ .
و هنا انتهى المؤلف من الكلام على الجدل بين القرآن و بين العرب فى عهد الرسول .

ثم قدم (مقدمة) للاعجاز بعد عصر النبى ذكر فيها ما خلاصته ان الصحابة كانوا قبل الاتصال بالاعاجم و عقائدهم على سلامة فى الفطرة ، و صفاء فى العقيدة ، و قوة فى الايمان ، و وحدة فى الامة ثم امتد الزمان ، فاشتغلت الفتن ، و نشأت الفرق و اقتتل المسلمون انفسهم اقتتالا شديدا تحت راية القرآن و تاويله ، و فى عهد الفتوح و امتزاج المسلمين بشعوب البلاد كانت دعوتهم و جذالهم مع اهل الاديان ، و اشار اليه المؤلف و يقول : " و كانت المناقشات الدينية قائمة فيها قبل الاسلام بزمن طويل على سائ و قدم تدور حول مسائل دينية فلسفية عويصة اهمها قضية لاهوتية المسيح او ناسوتية و قضية القضاء و القدر فكان حتما عليهم ان يخوضوا غمار هذه المناقشات ، و اصطدموا فى العراق و فارس باتباع المذهب الزرشتى و اتباع المذهب المانوى و بغيرهم فاضطروا الى مناقشة اصحاب الاديان فى اديانهم و الدفاع عن الاسلام الذى ينكره خصومهم ، و كان فى مقدمة المسائل التى تستدعى الجدل و المناقشة مسألة نبوة النبى و مسألة تحدى القرآن للعرب

في ان ياتوا بمثله و مسألة انه وحى منزل من عند الله لا كلام الله الرسول ، ويخذ المسلمو عقولهم لايجاد الحجج العقلية التي تؤيدهم و تقنع خصومهم او تسكتهم فلم يجدوا ادل على صدق النبي من القرآن فاعتمدوا عليه وقالوا باعجازه و جعلوه مساويا بالمعجزات سائر الانبياء المرسلين " ١ .

و من هنا اخذ المؤلف يتكلم على فكرة اعجاز القرآن و تاريخها في العصور المختلفة ، و اشهر من كتب فيها الى عصرنا هذا ، ثم يصف كلام البلغاء في اعجاز القرآن و كتبهم التي الفوها فيه خاصة ، و في رأسهم الجاهظ والواسطي و الجرجاني و الفخر الرازي و الزمكاني و القرطاجني . و انتهى هذا البحث الرئيس بقوله : " ومن الخير ان انتقل بعد هذه المقدمة التي بينت فيها خطوط فكرة الاعجاز الرئيسية الى الكلام من بحثوا فيها واحدا واحدا ، اصنفهم على حسب العصور التي عاشوا فيها ، ثم بحسب الجماعة التي ينتمون اليها " ٢ .

وقد استعرض ما رسمه بدقة و عناية ، و منى في العصور عصرا فعصرا مبتدئا في العصر الثاني ، الى العصر الرابع عشر ، مراعيًا زمن الكتاب واصفا روح عصورهم الالبية و يتكلم ايضا حول آراء منكري الاعجاز منهم ابن الراوندي و عيسى بن صبيح المزمار ، كما يقول : " واما عيسى بن صبيح المزمار و تنسب اليه الفرقة المزمارية من المعتزلة فقد قال بخلق القرآن وكان مشهورا بالزهد والورع و يلقب براهب المعتزلة و لكنه كان يكفر الناس بسرعة حتى انه كفر مرة اهل الارض قاطبة و هو يرى ان الناس قانرون على مثل القرآن فصاحة و نظما و بلاغة وعلى ذلك اصحابه " ٣ .

= ١ = تاريخ فكرة اعجاز القرآن ص ٢٤ .

= ٢ = المصدر نفسه ص ٤٥ .

= ٣ = المصدر نفسه ص ٥١ .

وبين آراء المعتزلة القائلين بالصرفه طليعتهم ابو اسحاق ابراهيم النظام
(٢٢٠) وهو استاذ الجاحظ في الاعتزال ، و من اهم الكتاب الذين كتبوا في موضوع الاعجاز
من اى جهة ، ذكر المؤلف عنهم وعن كتبهم بالتفصيل وبعضهم كما يلي :

في القرن الثالث : على بن ربن الطبرى

في القرن الرابع : ابو طيب احمد بن الحسين المتنبى الشاعر (٣٥٤ هـ)

بندار الفارسى المتكلم

ابو الحسن الاشعرى المتكلم (٣٢٤ هـ)

الطبرى المفسر (٣١٠ هـ)

القسمى المفسر (٣٧٨ هـ)

الواسطى الاديب المتكلم (٣٠٦ هـ)

الرماني الاديب المتكلم

الخطايى (٣٨٨ هـ)

العسكرى ابو هلال

في القرن الخامس :

قابوس بن وشمكير (٤٠٧ هـ)

ابن سينا (٤٢٨ هـ)

ابو العلاء المعرى

المشريف المرتضى (٤٣٦ هـ)

القاضى الباقلانى (٤٠٣ هـ)

ابن سراقسة (٤١٠ هـ)

ابن حزم الاندلسى)

ابن سنان الخفاجى (٤٦٦ هـ)

عبد القاهر الجرجانى

في القرن السادس :

- امام غزالي
(٢٥٤٤هـ) القاضي عياض
(٢٥٣٨هـ) الزمخشري
(٢٥٤٢هـ) ابن عطية المفسر
(٢٥٩٥هـ) ابن رشد

في القرن السابع :

- (٢٦٠٦هـ) فخر الدين الرازي
(٢٦٢٦هـ) السكاكي
(٢٦٢٢هـ) ابن العربي
(٢٦٣٣هـ) علي بن ابي علي الآمدي
(٢٦٨٧هـ) حازم القرطاجني

في القرن الثامن :

- (٢٧٢٧هـ) الزمكاني
(٢٧٣٩هـ) الخطيب القزويني
(٢٧٤٩هـ) يحيى بن حمزة العلوي
(٢٧٤٩هـ) الاصبهاني
(٢٧٩٠هـ) الشاطبي
(٢٧٩٤هـ) الزركشي

في القرن التاسع :

- (٢٨٠٨هـ) ابن خلدون
المراكشي
السيوطي

اتخطى بعد السيوطي سنين طويلة ساد فيها الجمود والجهل في ظل الحكم التركي

الاصل الى الآلوسي (١٢٢٠) ١ .

في القرن الثالث عشر : الآلوسي (١٢٢٠)

ومن هنا يتكلم عن النزعة العلمية من القرن الرابع الى القرن التاسع عشر

واخذ يتكلم عن بعض كبار العلماء في القرن العشرين و يستعرض كتبهم في هذا الموضوع

منهم الشيخ محمد عبده ، مصطفى صادق الرافعي ، عبد العليم الهندي ، امين الخولي ،

سيد قطب ، الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني .

واخيرا يقول تحت عنوان (خاتمة)

ونرى ان فكرة الاعجاز ، شان كل فكرة علمية او ادبية ، تسير روح العصر الذي

تعيش فيه فيظهر فيها التجديد والقوة حيث تكون نهضة متوثبة ويظهر فيها الجمود واجترار

ما قاله المتقدمون -١٠٠٠ الى ان يقول " وقد انتهيت من دراسة افكار من تكلموا في الاعجاز

الى ان فكرة الاعجاز ببلاغة كانت اقوى هذه الافكار ، ولكن القدماء الذين ارادوا ان

يثبتوها لم يكن عندهم آراء ونظريات فنية كاملة في فنون البلاغة التي كانت في زمنهم

قاصرة اذا قسناها بفنون البلاغة الحديثة " ٢ .

= ١ = تاريخ فكرة اعجاز القرآن ص ١١٨ .

= ٢ = المصدر نفسه ص ١٤٩ .

ثبت مصادر البحث

اسماء المؤلفين

اسماء الكتب

- ١ - ابو عبد الله محمد بن اسماعيل : الجامع الصحيح للبخارى
- ٢ - ابو بكر محمد بن طيب الباقلائي : اعجاز القرآن ، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٦٣ م
- ٣ - ابو سليمان حمد بن ابراهيم الخطابي : اعجاز القرآن ، دار التاليف والترجمة مصر سنة ١٩٥٣ م
- ٤ - احمد محمود سليمان : القرآن والعلم ، مطبعة دار الشرق سنة ١٩٤٨ م
- ٥ - احمد عادل كمال : علوم القرآن ، دار الارشاد بيروت سنة ١٩٦٨ م
- ٦ - احمد بدوى الدكتور : من بلاغة القرآن ، مكتبة نهضة مصر
- ٧ - جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : الاتقان في علوم القرآن ، المكتبة التجارية الكبرى مصر
- ٨ - سيد قطب : التصوير الفنى في القرآن : دار المعارف مصر ، الطبعة الثالثة
- ٩ - مألحة عبد الحكيم شرف الدين : القرآن الحكيم اعجازه وبلاغته وعلومه ، دار الكتب العربية بومباى الهند سنة ١٩٨٤ م
- ١٠ - صبحى الصالح : مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٦٨ م
- ١١ - عبد الكريم الخطيب : اعجاز القرآن ، دار الفكر العربى القاهرة ١٩٢٤ م

- ١٢ - عبد المنعم السيد حسن
ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ، دار
المطبوعات مصر سنة ١٩٨٠ م .
- ١٣ - عبد القاهر الجرجاني
: كتاب دلائل الإعجاز
: مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار
أحياء الكتب العربية الطبعة الثالثة
سنة ١٩٥٣ م .
- ١٤ - عبد العظيم الزرقاني
: القرآن والعلم الحديث ، دار المعارف
مصر سنة ١٩٥٩ م .
- ١٥ - عبد الرزاق نوفل
: التبيان في علوم القرآن ، دار الارشاد
بيروت سنة ١٩٧٠ م .
- ١٦ - محمد علي الصابوني
ثلاث رسائل في إعجاز القرآن دار المعارف
مصر .
- ١٧ - محمد خلف الله محمد زغلول
سلام -
: القرآن بين الحقيقة و المجاز والإعجاز
" مؤسسة المطبوعة الحديثة مصر .
- ١٨ - محمد عبد الغنى حسن
: القرآن والفلسفة ، دار المعارف مصر
: القرآن و إعجازه التشريعى ، دار الفكر
العربى القاهرة سنة ١٩٧٨ م .
- ١٩ - محمد يوسف موسى الدكتور
: شواهد العلم فى هدى القرآن ، دار الفكر
العربى القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
- ٢٠ - محمد اسماعيل ابراهيم
: إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،
المكتبة التجارية الكبرى مصر ، الطبعة
الثامنة ١٩٦٩ م .
- ٢١ - محمد سعدى المقدم
: إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،
المكتبة التجارية الكبرى مصر ، الطبعة
الثامنة ١٩٦٩ م .
- ٢٢ - مصطفى صادق الرافعى

- ٢٣ - مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العربى ٢ / للمكتبة التجارية الكبرى مصر ١٩٦٩ م
- ٢٤ - مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن ، الدار السعودية رياض
- ٢٥ - نعيم الحمصى : تاريخ فكرة اعجاز القرآن ، دمشق سنة ١٩٥٠ م

مجلة المجمع العلمي العربي دمشق المجلد الثامن والعشرون والتاسع والعشرون

• سنة ١٣٧٣ هـ

الثقافة الإسلامية (الانكليزية) العدد الاول والثانى سنة ١٩٣١م

XX

XX

[illegible]